وزارة التعلـــيم العالي والبحث العلمي
جامعة– سعيدة –د. الطـــاهر مولاي
كلية الآداب واللغات والفنون
قسم اللغة والأدب العربي

الشعبة :دراسات لغوية

تخصص : لسانيات الخطاب (ل.م.د)

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر

تمظهرات الأبعاد الحجاجية في كتابات الجاحظ بعض الرسائل أ نموذجا

إعداد الطالبتين إشراف :أ. واضح أحمد

بلفضال إكرام

بغدادي خيرة

لجنة المناقشة

01	أ.د : عبيد نصر الدين	جـــامعة سعيدة	رئـــيسا
02	أ.د : وضح أحمد	جـــامعة سعيدة	مشرفا ومـــقررا
03	أ.د : مرسلي عبد السلام	جـــامعة سعيدة	ممتحـــنا

السنة الجامعية : 1442هـ/ 1441هـ*** 2020م/2021م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله الذي خلق الكون ونظمه، وخلق الإنسان وعلمه

وكرمه وسن الدين ونظمه ووضع البيت وحرمه، ونادى موسى

وكلمه وأرسل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالحق وعلمه

سبحانه ما أعلى مكانه وعظمه وما أكثر جهد وكرمه فالشكر

لله أولا ولرسول المصطفى .

بصدق الوفاء والإخلاص نتقدم بالشكر إلى الأستاذ المشرف

" واضح أحمد" الذي سهل لنا طريق العمل ولم يبخل علينا بنصائحه القيمة فوجهنا

حين الخطأ وشجعنا حين الصواب فكان نعم المشرف.

كما لا يفوتنا أن نتقدم بالشكر إلى كافة أساتذة كلية الآداب واللغات

والفنون وفي الختام لايسعنا إلا أشكر أساتذتنا الموقرين في لجنة المناقشة لتفضلهم على

قبول مناقشة هذه المذكرة "

خيرة– إكرام

إهداء

إلى من قال فيهما الرحمن (وصينا الإنسان بوالديه إحسانا)

إلى من رفع الله مقامها وجعل الجنة تحت أقدامها إلى التي لا تسعها كل عبارات الحب والاحترام والتقدير ولا أوفيها حقها إلى التي سهرت الليالي من أجل راحتي إلى رمز العطاء والصبر إلى التي تدعو لي سرا وجهرا إلى أمي الغالية أطال الله في عمرها

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار إلى من أحمل اسمه بكل افتخار إلى الذي مازلت أستسقى منه مكارم الأخلاق إلى من حصد لي الأشواك عن دربي ليمهد لي طريقة العلم إلى من كان لي اليد والسند إلى الذي انتظر هذه اللحظة بفارغ الصبر "أبي الغالي "أطال الله في عمره .

إلى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس الصافية ،إلى من حبهم يجري في عروقي ، إلى عز الدنيا وركن الشدائد "أخواتي وأزواجهم "

إلى رياحين حياتي وشموع البراءة بنات وأبناء أخواتي .

إلى من تذوقت معهم المر والطيب صديقاتي :"هدى ورشيدة "

إلى رفيقة دربي في هذا العمل " خيرة بغدادي "

وشكر خاص إلى أستاذي المشرف " واضح أحمد " .لما أفاده من توجيهات علمية لي .

إلى كل من وسع لهم قلبي ولم تسعهم هذه الورقة .

إلى كل من ترك أثرا طيبا في نفسي

أهدي ثمرة جهدي

14/06/2021

إكرام

إهداء

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين شفيعنا يوم لاينفع مال ولا بنون أما بعد ":

الحمد لله الذي وفقنا لتثمين هذه الخطوة في مسيرتي الدراسية بمذكرتنا هذه ثمرة الجهد والنجاح بفضله تعالى مهداة إلى كل من علمني حرفا في هذه الدنيا

إلى أعز الناس وأقربهم إلى قلبي إلى والدي العزيز الغالي "محمد" ووالدتي العزيزة"خرفية" اللذان كانا عونا لي حفظهما الله وأدامهما نورا لدربي ، وكان لدعائهما المبارك أعظم أثر في تسيير سفينة البحث حتى ترسو على هذه الصورة.

ولكل العائلة الكريمة التي ساندتني من إخوة وأخوات وأزواجهم وأبنائهم : الطيب/ زهرة ، زهرة/ أحمد بلخير/ هدى، سعيد/الزانة ، فاطنة/بن عامر ، حنان/محمد ، عبد الرحمان ، عبد الصمد، فدوى ياسمين ،محمد عبد الإله ، هيثم وليد، صهيب وأنفال ، ألاء ، دلال .

إلى اللواتي أذكرهن مع كل ابتسامة فرح ودمعة حزن صديقاتي : نجاة ، هاجر ،أسماء ، عفاف إلى صديقة ورفيقة دربي ومشواري بلفضال إكرام .

وشكر خاص إلى الأستاذ" بعزيز جمال" الذي كان سندا ومحفزا لي .

إلى كل من وسعتهم ذاكرتي وقلبي ولم تسعهم مذكرتي .

إلى من ترك أثرا طيبا في نفسي أهده ثمرة جهدي .

14/06/2021

خيرة

مقـــدمة

مقدمة:

الحمـد لله رب العـالمين و الصـلاة والسـلام علـى أشـرف المرسـلين و علـى آلـه الطيبين الطاهرين .

يتمـز الإنسـان عـن غـيره مـن المخلوقـات الأخـرى بملكـة الكـلام والتخاطـب مـع غـيره مـن بـني جنسـه مـن البشـر ، وقـد تنوعـت أوجـه التخاطـب الإنسـاني منهـا مـا هـو شـفوي ومـا هـو مكتـوب ، والخطـاب الحجـاجي يكـون في أغلـب الأحيـان لصـيق بهمـا باعتبـاره الركيزة الأساسية في إيصال الأفكار.

يعـد الحجـاج مـن الموضـوعات الـتي نالـت اهتمـام الدارسـين في العـالم العـربي بحيـث يعتـبر الحجـاج علمـا قـديما جـدا ، وقـد ارتـبط بكثـير مـن المجـالات ، بحكـم طبيعتـه فقـد ارتـبط في أول خطواتـه بـالمنطق والبلاغـة غـير أن الحجـاج يمثـل مجـالا مـن النشـاط اللغـوي الـذي شـدّ إليـه الأنظـار عنـد بلاغـة القـدامى، الـذين جعلـوا منـه الأسـاس ذاتـه للعلاقـات الاجتماعيـة الـتي يسـعى إليهـا المخاطـب لإقنـاع المتلقـين بفكـرة أوردتهـم عـن اعتقـاد معين.

شـهد الحجـاج في الدراسـات الحديثـة اهتمامـا متزايـدا مـن قبـل مجموعـة مـن المـدارس و العلمـاء والفلاسـفة واللغـويين وكثـرت فيـه المقاربـات والدراسـات ،بحكـم أنـه مـن بـين أهـم النظريـات الـتي تهـتم بهـا اللسـانيات والتداوليـة والبلاغـة، حيـث يرتكـز علـى دراسـة الطريقـة والأسـلوب اللـذين يتـبعهم المـتكلم للتغيـير مـن معتقـدات المتلقـي واقناعـه بـالفكرة المـراد ايصـالها وذلـك بتقـديم الأدلـة والبراهـين الـتي تخـدم أفكـار وآراء المـتكلم والأهداف والأغراض التي يريد الوصول إليها.

تعـود جـذور الحجـاج إلى الحضـارة اليونانيـة في فـترة السوفسـطائيون وأفلاطـون وأرسـطو ،حيـث وظـف فيـه أرسـطو البرهـان والحـوار ، بهـدف الإقنـاع كمـا نجـد أرسـطو منبـع لكـل الدراسـات الـتي تليـه مـن بيـنهم الجـاحظ الـذي اسـتفاد مـن سـابقيه (أرسـطو والسوفسـطائيون). يعتـبر الجـاحظ واحـد مـن العلمـاء البلاغيـين العـرب الـذين بـرزوا في مجـال الحجـاج و الإقنـاع بحيـث جمـع كـل مقومـات البلاغيـة الراقيـة مـن فصـاحة وبيـان وقدرة على الجدل و الإقناع وبراعة في الحجاج والمناظرة.

انطلاقـا مـن العتبـة التصـورية ، ارتأينـا أن يمكـون عنـوان مـذكرتنا موسـوما ب: تمظهـرات الأبعاد الحجاجية في كتابات الجاحظ ... بعض الرسائل أنموذجا.

وقـد تفرعـت عـن هـذه الإشـكالية المركزيـة بعـض القضـايا و الإشـكاليات المعرفيـة الفرعيـة الأخـرى، الـتي حاولنـا الإجابـة عليهـا مـن خـلال هـذه السـطور المعرفيـة الموجـودة في فصول هذا البحث ومباحثه ومن بينها:

. ما مفهموم الحجاج وما هي أهم النظريات التي درست الحجاج ؟

. كيف تمثل الحجاج في الفكر الغربي ؟

. كيف تمثلت الآليات الحجاجية التي وظفها الجاحظ في رسائله ؟

. فيم وظف الجاحظ الإقناع ؟

. ماهي الإستراتيجيات التي اتبعها الجاحظ ؟

ـ أيـن تمظهـرت أهـم الإسـتراتيجيات والأبعـاد الحجاجيـة الـتي وظفهـا الجـاحظ في كتاباتـه لاسيما رسائله ؟

وقد اعتمدنا في كتابة هذه المذكرة وفصولها على المنهج الوصفي التحليلي .

وللإجابة على هذه الأسئلة حاولنا رسم خطة للسير وفقها ، وقسمنا بحثنا إلى مدخل و ثلاثة فصول مصدرين بمقدمة ...وتفصيلها كالآتي :

المدخل: تحدثنا فيه بإيجاز عن الحجاج في البلاغة الغربية القديمة و البلاغة الغربية الحديثة .

الفصل الأول : جاء تحت عنوان (ماهية الحجاج ، دراسة نظرية) ويحوي هذا الفصل على : تعاريف ومفاهيم الحجاج ،مجالات الحجاج ،الاستعارة الحجاجية ، التداوليات المدمجة ،النظرية الكلاسيكية للحجاج البلاغي (أرسطو)، نظرية الحجاج اللغوي ، نظرية الحجاج الخطابي ، نظرية الحجاج المنطقي الطبيعي ، نظرية الحجاج التداولي ، منهجية تحليل النص الحجاجي ، وأنواع الحجاج ، ومفهوم الرابط الحجاجي، ، مفهوم الرابط و العامل الحجاجي ، وظيفة الروابط و العوامل الحجاجية، المسار التاريخي .

الفصل الثاني :جاء تحت عنوان (لمحة عن خلفية الجاحظ) ويحوي هذا الفصل على : عصر الجاحظ ، حياته ، اسمه ونسبه ،كنيته ولقبه ، مولده ، نشأنه، ، وفاته مذهبه الإعتقادي ، مؤلفات الجاحظ ، النزعة الكلامية.

الفصل الثالث : جاء تحت عنوان (بلاغة الحجاج عند الجاحظ رؤية في الخلفيات الحجاجية في بعض رسائل الجاحظ (نموذجا)) ويحوي هذا الفصل على : مفهوم الحجاج عند الجاحظ، إضاءة حول الحجاج عند الجاحظ ،وظيفة الإقناع في بلاغة الجاحظ ، تقنيات الحجاج ووظائفه ، مفهوم الصورة الحجاجية ، أشكال الصورة الحجاجية ، دائرة الحجاج ، أطراف الحجاج ، البعد الإجرائي ، مصداقية النتائج .

وقـد ارتأينـا اختيـار هـذا الموضـوع لعـدة أسـباب منهـا : أسـباب ذاتيـة وأسـباب موضوعية علمية .

بالنسبة للأسباب الذاتية :

الأمـر الـذي حفزنـا علـى اختيـار هـذا الموضـوع كوننـا تناولنـا مسـبقا دراسـة المقـام عنـد الجاحظ في مذكرة ليسانس .

شـغفنا المعـرفي لتتبـع وتقفـي الفـترات الذهبيـة لفكرنـا البلاغـي العـربي الـذي نفتخـر بـه أمـا بالنسبة للأسباب الموضوعية ، فيمكن تلخيصها في :

. الرغبة في التعرف على الحجاج وآلياته عند الجاحظ .

.كما دفعنا للبحث في رسائل الجاحظ قلة الدراسات التي اهتمت بها .

ـ إثـراء المكتبـة الجامعيـة العربيـة عامـة والجزائريـة خاصـة بمحتـوى معـرفي يعكـس الرقـي المعـرفي البلاغـي العـربي الـذي مثلـه الجـاحظ أحسـن تمثيـل بطريقـة تضـاهي النظريـات الحجاجية المعاصرة التي يتغنى بها الفكر الغربي.

ولقـد واجهتنـا عـدة صـعوبات أثنـاء بحثنـا لهـذه المـذكرة لعـل أهمهـا يكمـن في كثـرة المراجـع المتعلقـة بموضـوع الحجـاج ، ممـا سـبب لنـا خلـط وتشـويش في المعلومـات ، إضـافة إلى ضيق الوقت .

وفي الأخير نود

وفي الأخـير نتقـدم بالشـكر للمـولى الجليـل علـى إعانتـه لنـا في إكمـال هـذا البحـث ، كمـا نشـكر الأسـتاذ المشـرف " واضـح أحمـد " علـى توجيهاتـه وملاحظاتـه ، وصـبره علينـا طيلـة أطـوار البحـث ، وكـل مـن سـاعدنا في مشـوارنا الدراسـي كمـا لا ننسـى

أســاتذتنا الكــرام الــذين قبلــوا مناقشــة هــذا العمــل المتواضــع الــذي تنمــنى أن يكــون في مستوى تطلعاتهم الفكرية .

الطالبتان :

بلفضال إكرام بغدادي خيرة

سعيدة في : 20جوان 2021

مـــدخـــــل

الحجاج في البلاغة الغربية القديمة والحديثة

✍ الحجاج في البلاغة الغربية القديمة:

يعـود المهـاد الـذي تشـكلت فيـه البلاغـة الغربيـة القديمـة إلى مـا قدمـه الفلاسـفة والمفكـرون اليونـانيون مـن ممارسـات حجاجيـة بأشـكال مختلفـة وذلـك حسـب مـا قدموه من موروث في الفلسفة والمنطق وعلم الكلام.

✍ الحجاج عند السوفسطائيين:

عرفـت البلاغـة أقصـى درجـات الانتعـاش والشـيوع حـين انتقلـت أثينـا وذلـك بعـد الحـروب الميديـة الـتي انتهـت بانتصـار اليونـان علـى الإمبراطوريـة الفارسـية وقـد كـان منشـطو مشـهدها السوفسـطائيين الـذين يعـود إلـيهم فضـل الاعتنـاء بهـذه البلاغـة في إقرار لقواعدها وتصريفا لها في خطبهم ومحاوراتهم[1].

لقـد كـان للسوفسـطائيين ببلاغـتهم أثـر حاسـم في تحريـك التفكـير حـول العديـد مـن المعضـلات الفلسفية،اشـتهر السوفسـطائيون بتسـمية محترفـو الـذكاء والمعرفـة وأصـحاب الحكمـة والكفـاءة المتميـزة في كـل شـيء باعتمـادهم سـلطة الخطابـة لنشـر آرائهم وإتقان الاحتجاج لها[2].

والقـول عنـد السوفسـطائيين يـرتبط بالإنسـان أكثـر مـن ارتباطـه بالحقيقـة المجـردة ولـيس مـن مهمـة الخطـاب أن يكشـف عـن الأشـياء أو الوجـود، فـالقول إذن نطـاق واسـع للتفاعـل بـين الإنسـان والإنسـان ومـن ثم يكتسـي نسـبيته وتعـدده ويصـبح أوثـق بالظن بمقدرات الحجاج[3].

---

[1] عبد اللطيف عادل: **بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف** ، دار الأمان، الرباط، الطبعة 1، 1434-2013، الصفحة 28.

[2] عبد اللطيف عادل: **بلاغة الإقناع في المناظرة، مرجع سابق، الصفحة 29**.

[3] عبد اللطيف عادل: **بلاغة الإقناع في المناظرة، مرجع سابق، الصفحة 30**.

لـيس غريبـا إذن أن تأخـذ الخطابـة جـدارتها ومركزيتهـا في نسـق السوفسـطائيين الـذين اعتـبروا أن الخطيـب البليـغ يسـتطيع أن ينصـر الحـق كمـا يسـتطيع أن ينصـر الباطل بقوة حججه وبراعته في القضايا الظاهر منها والمضمر[1].

بعيـدا عـن أي مثـال مرجعـي ثابـت أو سـلطة يقينيـة واحـدة حـدث بالسوفسـطائيين إلى تجريـب أقاويـل متناقضـة كمـا فعـل بروتـاغوراس إذ كـان في خطبـه يحـتج للـرأي مـرة ويـدافع عـن نقيضـه مـرة أخـرى مفتتـا اليقـين الحتمـي وموسـعا لمجـال الاحتمـال ومعلـوم أن بلاغـة الإقنـاع تشـتغل علـى الوجـود المتعـددة للخطـاب وتنـوع طرقه بحسب غايات صاحبه[2].

إن منفعـة القـول تتحـدد عنـد السوفسـطائيين علـى خلـق الاسـتلذاذ لـدى المقـول إليـه واسـتمالته لـذلك اعتمـدوا توجيـه الحجـاج وفـق الإمكانـات الواسـعة الـتي نتيجتهـا آفـاق القـول ومقاصـده، وقـد اشـتهر السوفسـطائي كـوراكس بهـذا المـذهب إذ كـان يعلم تلاميذه مسالك توجيه الاحتمال في الحجاج بحسب النافع[3]

وغـير خـاف أن نظريـات الحجـاج المعاصـرة وقـد اشـتغلت بشـكل واسـع بمفهـوم الاتجـاه الحجاجي أو الاتجاه في القول[4].

إن ممارسـة الإقنـاع لـدى السوفسـطائيين كانـت مدعومـة بنشـاط تعليمـي اضـطلعوا بـه ومارسـوه، وامتهـانهم للتعلـيم جعلهـم يكرسـون مجهـودهم المعـرفي والبيـداغوجي

[1] عبد اللطيف **عادل: بلاغة الإقناع في المناظرة، مرجع سابق، الصفحة 30.**

[2] عبد اللطيف **عادل: بلاغة الإقناع في المناظرة، مرجع سابق، الصفحة30.**

[3] هشام الريفي: **الحجاج عند أرسطو، إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس 1، كلية الآداب منوبة ، فريق البحث في البلاغة والحجاج**، سلسلة آداب ، مجلد39، 1998 ، الصفحة61.

[4] عبد اللطيف **عادل: بلاغة الإقناع في المناظرة، مرجع سابق، الصفحة31.**

لوضع مبادئ بلاغة الإقناع[1]،ومن ثم انتهى الدكتور عبد الرحمان بدوي في ربيع الفكر اليوناني إلى الإقرار، أما في الفن فقد كان السوفسطائيين أول واضعين حقيقيين لعلم الخطابة[2].

إن الإفحام كمطلب خطابي جعل من السوفسطائيين معلمي جدال ودفاع قادرين على أن يبينوا إلى أي مدى يستطيع الإنسان أن يذهب في الكلام[3].

✍ **الحجاج عند أفلاطون:**

لا ينفصل موقف أفلاطون من فاعلية الإقناع ومن حجاج السوفسطائيين خاصةعن الأهداف الاجتماعية والسياسية التي انشغل بها في مشروعه المعرفي فنظرية المثل، وهي الإسهام الأفلاطوني الأبرز لم تكن معزولة عن التناقضات المستعرة والمعارك الجارية في المجتمع الأثيني آنذاك لذلك لا يمكن اعتبار أفلاطون مثاليا يشيد مدينته الفاضلة في الأحلام بل كان مدافعا لدودا عن امتيازات طبقية[4].

إن التغيرات في الأدوار واحتمالات الارتقاء السياسي التي أشاعها حجاج السوفسطائيين وراهنت عليها خطاباتهم السياسية مرفوضة لدى أفلاطون لأن من شأنها أن تحطم الدولة وتخل بنظامها يقول في الجمهورية أفلا ترى في دولتنا مدينته الفاضلة، لهذا السبب دون غيرها من الدول أن الاسكافي إسكافي فقط وليس هو

[1] عبد اللطيف **عادل: بلاغة الإقناع في المناظرة، مرجع سابق، الصفحة31**.

[2] عبد الرحمن بدوي: **ربيع الفكر اليوناني، وكالة المطبوعات، الكويت**، دار القلم، بيروت، لبنان، الطبعة 5، 1979، الصفحة 171.

[3] نجيب بلدي: **دروس في تاريخ الفلسفة، أعدها للنشر طاهر وعزيز ،كمال عبد اللطيف**،دارتو بقال للنشر، البيضاء، المغرب، الطبعة 1، 1987 ، الصفحة 66.

[4] عبد اللطيف **عادل: بلاغة الإقناع في المناظرة، مرجع سابق، الصفحة 34**.

ربانا مع السكافة، والزارع زارع فقط وليس قاضيا مع زراعته والجندي جندي فقط وليس تاجرا مع جنديته[1].

شكلت محاورتا جورجياس وفايدروس بسطا لمواقف أفلاطون من بلاغة السوفسطائيين وبناء لحجاج بديل إذ كانت محاورة جورجياس نقدا لاذعا لخطابة السوفسطائيين وبلاغتهم الإقناعية، فإن محاورة فايدروس قد كرسها أفلاطون لتحديد خصائص الحجاج البديل الذي يدعو إليه،فأمام استحالة خطر فن الخطابة داخل المجتمع الأثيني اقتنع أفلاطون بإمكانية الإبقاء عليه وإصلاحه وذلك عبر ربط الوطيد بالفلسفة حيث دعا إلى قيام نوع من الخطابة الفلسفية التي لا تقتنع بإيهام الجمهور تبعا لأهواء الخطباء بل تلتزم التعبير عن الحقيقة والتوجيه إلى الخير[2].

عارض أفلاطون النص الحجاجي الذي ألفه ليزياس وعنونه باسم حديث الحب وذلك باللقاء بين سقراط وفايدروس حيث قال: أتظن أن في اليونان بأسرها رجلا آخر يستطيع أن يقول في هذا الموضوع مقالا أكثر جزالة وإتقانا[3]،فقد ذهب أفلاطون إلى تلخيص فايدروس من حجاج السوفسطائيين المموه وإدماجه في حجاج الفيلسوف الذي يبنى الخطابة الحقيقية[4].

[1] أفلاطون : **جمهورية أفلاطون، نقلها إلى العربية حنا خباز**، دار القلم، بيروت، الطبعة 2، 1980 ،الصفحة 90.

[2] أفلاطون: فايدروس أو عن **الجمال، ترجمة وتقديم الدكتورة أميرة حلمي مطر، مكتبة الدراسات الفلسفية** ، دار المعارف بمصر، القاهرة، الطبعة1، دت ، الصفحة 11.

[3] أفلاطون: فايدروس **أو عن الجمال، مرجع سابق، الصفحة 49**.

[4] عبد اللطيف **عادل: بلاغة الإقناع في المناظرة، مرجع سابق، الصفحة 42**.

✍ الحجاج عند أرسطو:

يعتبر أرسطو من الفلاسفة الذين ذهبوا إلى العناية بمجال الاستدلال وفنون القول خاصة ما يتعلق الأمر بالمحاور الخطابية وأصنافها المختلفة فقد اهتم بالخطاب ووظائفه، فوضع مفاهيم دقيقة تمثل أصول النظرية في البلاغة القديمة فلم يكن من الغريب أن تتهيأ لبلاغة الإقناع شروط النضج داخل النسق المعرفي.

الأرسطي فلقد استبطن المعلم الأول بشكل نقدي عميق الإسهامات السابقة عليه إسهامات السوفسطائيين وأفلاطون وحولها بإضافاته الواسعة وأبحاثه المستقصية في أنماط القول الإغريقي إلى قواعد ومبادئ منظمة[1].

حيث يتشكل الأورغانون الحجاجي الأرسطي من ثلاثة مصنفات:

أ-المواضع

ب-التبكيتات السوفسطائية

ج-الخطابة

وهي مصنفات تندرج ضمن الإنشغال العام لأرسطو بالمنطق أو التحليلات إلا أن أرسطو خصص هذه المصنفات بالتحديد لبحث الاستدلال غير البرهاني أي أنواعه الجدلية والخطبية والسوفسطائية[2].

لقد انصبت المقاربة في هذه المصنفات الحجاجية الثلاثة على جنسين جامعين كانا يمثلان مؤسستين قوليتين مهمتين في المجتمع اليوناني لمناقشة الجدلية والخطبة[3].

---

[1] عبد اللطيف **عادل: بلاغة الإقناع في المناظرة، مرجع سابق، الصفحة 46.**

[2] عبد اللطيف **عادل: بلاغة الإقناع في المناظرة، مرجع سابق، الصفحة46.**

[3] هشام الريفي: **الحجاج عند أرسطو ، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو** إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، جامعة **الآداب والفنون والعلوم الانسانية، تونس1، كلية الآداب منوبة، فريق البحث في البلاغة والحجاج**، سلسلة آداب، مجلد 39، 1998 ،الصفحة 120-121.

إن أرسطو وهو ينظم البنية العامة للحجاج الجدلي كان يهدف كذلك إلى تحصينه من الحجاج المموه، الذي يقتصر على المهارة حجاج السوفسطائيين الذي أفسد على أفلاطون مدينته واضطره لمهاجمتهم إذ يعتبر أرسطو حجاج السوفسطائيين ظاهريا غير منتج وقائما فقط على الأغاليط[1].

وإذا كان الجدلي ينطلق من مقدمات مشهورة فإن هذه المقدمات التي تبنى منها الحجج تشتق من المواضيع يقول أرسطو:فيجب أولا إذا كنت معتزما على السؤال أن تستنبط الموضوع الجدلي الذي منه ينبغي أن تأتي بالحجة[2]،انشغل أرسطو في كتابه الطوبيقا بنقد الحجاج السوفسطائي حيث تتبع فيه مغالطات السوفسطائيين ثم أورد حلولا لهذه المغالطات فمن الأغراض التي يستهدفها الحجاج السوفسطائي حسب أرسطو هي التبكيت وإضعاف الفهم بإثارة الشك والاستعجام والهدر والهتار[3]،فإن أهمية التبكيتات السوفسطائية تعود إلى أن أرسطو وقف فيه على ما يسمى بالحجاج المغالطي فهذا الحجاج الذي استوحى مبادئه من هذا المصنف الأرسطي[4]،وإذا كان التبكيت السوفسطائي حجاجا غير حقيقي فإن أرسطو عمد إلى تقويمه من خلال مجهوده في هذا العمل لحل الأغاليط، لذلك

[1] عبد اللطيف **عادل: بلاغة الإقناع في المناظرة، مرجع سابق، الصفحة 50.**

[2] أرسطو طاليس: **منطق أرسطو، حققه وقدم له الدكتور عبد الرحمن بدوي**، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، لبنان، الطبعة1، 1980 ،الصفحة 788.

[3] أرسطو طاليس: **منطق أرسطو، مصدر سابق، الصفحة 789.**

[4] محمد النويري :**الأساليب المغالطية مدخلا لنقد الحجاج ضمن: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الانسانية، تونس1، كلية الآداب منوبة، فريق البحث في البلاغة والحجاج، سلسلة آداب مجلد39، 1998**، الصفحة 404.

ينتهي الدكتور عباس أرحيلة إلى أن غاية أرسطو كانت هي إبعاد الحجاج عن التعمية والتمويه[1].

✍ الحجاج في البلاغة الغربية الحديثة:

لقد كان الحجاج في الدراسات الغربية الحديثة له تصورا أدق وأشمل من الذي كان عليه في الدرسات القديمة وذلك من خلال إضافات أصبح الحجاج من ورائها نظرية غربية حديثة منها دراسات بيرلمان وديكرو لهذه النظرية.

✍ الحجاج عند بيرلمان:

إن العمل الكبير الذي شهده العصر الحديث في مجال الدراسات البلاغية الذي أعاد الروح من جديد للبلاغة القديمة عبر إضافات حملت الدرس البلاغي القديم إلى ما يعرف بالبلاغة الجديدة أو الحجاج وذلك بفضل ظهور مصنف في الحجاج لبيرلمان و تيتكا الذي درسا فيه مجمل الوسائل التي تؤثر في المتلقي وذلك بالتسليم بما يعرض عليه من أفكار التي هي هدفه في العملية الحجاجية[2].

ويحدد بيرلمان وتيتكا موضوع نظرية الحجاج في دراسة التقنيات الخطابية التي تمكن من إثارة وتعزيز انخراط الأذهان في الأطروحات المقدمة، وعليه فإن الانسجام الايجابي مع الفروض والمواقف المطروحة هو محور الحجاج فالغاية إذن هي إحداث التأثير العلمي الذي يمهد له التأثير الذهني[3].

---

[1] أرحيلة عباس: **الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين إلى حدود القرن الثامن الهجري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة: رسائل وأطروحات رقم40**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة1، 1999، الصفحة 255 .

[2] ينظر: عبد اللطيف **عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، مرجع سابق، الصفحة 83**.

[3] عبد اللطيف عادل: **بلاغة الإقناع في المناظرة، مرجع سابق، الصفحة 85**.

إن البـاحثين وهمـا يطـوران نظريـة الحجـاج اسـتنادا إلى المدونـة البلاغيـة القديمـة عنـد أرسـطو لـذلك فالحجـاج لـديهما يتقـارب مـع الجـدل فالاسـتدلال في الحجـاج كمـا في الجـدل غـير أن المـؤلفين فضـلا التقـارب أكثـر مـع الخطابـة حيـث يقـولان"الغايـة مـن تقريبنـا بـين الحجـاج والخطابـة أن نلـح علـى أنـه لا حجـاج بـدون وجـود جمهـور يرمـى الخطـاب إلى جعلـه يقتنـع ويسـلم ويصـادق علـى مـا يعـرض عليـه ويوسـع المؤلفـان مـن مـدلول المسـتمع حيـث يقـولان بتغيـير المسـتمع يتغـير شـكل الحجاج"[1].

إن نظريـة الحجـاج الـتي يتبناهـا بيرلمـان وتيتكـا عقـدت صـلات واسـعة مـع مباحـث علـم الـنفس الـتي تحكـم السـلوكيين الفـردي والجمـاعي في تفاعلهمـا مـع الخطابـات ولـذلك أولى مصـنفهما أهميـة للأطـر النفسـية والاجتماعيـة يقـولان:فلـيس للحجـاج في النهايـة سـوى دراسـة لطبيعـة العقـول، ثم اختيـار أحسـن السـبل لمحاورتهـا والإصـغاء إليهـا ومحاولـة لحيـازة انسـجامها الايجـابي والتحامهـا مـع الطـرح المقـدم، فـإذا لم توضـع هـذه الأمـور النفسـية والاجتماعيـة في الحسـبان فـإن الحجـاج يكـون بـلا غايـة وبلا تأثير[2].

✍ الحجاج عند ديكرو:

تسـتند أعمـال ديكـرو وأنسـكومبر مرجعيـا إلى الإسـهامات التداوليـة الـتي ميـزت نظريـة الأفعـال اللغويـة عنـد أوسـتين وسـورل حيـث تمثـل أعمـال هـذين البـاحثين تيـارا تـداوليا مختلفـا قـارب الحجـاج مـن زاويـة مغـايرة، وهكـذا فـإن كـل مـن بيرلمـان وتيتكا قد اشتغلا على هذا المبحث برؤية بلاغية.

[1] ينظر: عبد اللطيف **عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، مرجع سابق، الصفحة 86**.

[2] عبد اللطيف **عادل: بلاغة الإقناع في المناظرة، مرجع سابق، الصفحة 86–87**.

إن نظريـة الحجـاج في اللغـة الـتي اعتمـدها ديكـرو وأنسـكومبر نظريـة لسـانية تهـتم بالوسـائل والإمكانـات اللغويـة الـتي تمـدنا بهـا اللغـات الطبيعيـة لتحقيـق بعـض الأهداف والغايات الحجاجية[1].

إن هـم البـاحثين لـيس بنـاء الحجـاج علـى الأسـس الفلسـفية أو المنطقيـة أو البلاغيـة ومـن ثم لم ينشـغل بوقـائع الإقنـاع بـل بحثـا علـى الـدور الحجـاجي الـذي يلعبـه الكسـاء اللغـوي لهـذه الوقـائع ولـذلك انتهيـا إلى أن اللغـة تحمـل في طياتهـا بعـدا حجاجيـا كامنـا في صـميم بنيتهـا الداخليـة مسـجلا فيهـا ولـيس عنصـرا مضـافا إليهـا ومن ثم فمعنى الأقوال لا ينفصل عن طابعها الحجاجي[2].

يعـد الحجـاج عنـد ديكـرو وأنسـكومبر مكونـا مـن مكونـات البنيـة اللغويـة تؤشـر عليهـا تعليمـات هـذه البنيـة وتوجيهاتهـا، فالحجـاج إذن يـتم داخـل اللغـة ومـن ثم هـذه النظريـة الـتي أنشـأها هـذان الباحثـان والموسـومة بالحجـاج في اللغـة، فالخطـاب التلفظـي ينطـوي وجوبـا علـى خاصـية حجاجيـة مباطنـة لـه ،بتعبـير ديكـرو إن الملفـوظ ينطـوي في ذاته على إشارة للطابع الحجاجي للمحمولات التي تشكله[3].

إن هـذا الحجـاج الخطـابي لا تحـدده الاعتبـارات المنطقيـة المنطقيـة والخارجيـة بـل اعتبـارات مثبتـة داخـل نسـيج الأقـوال وفي الأقـوال وفي العلاقـات بـين مكوناتهـا ، مـن هنـا ميـز ديكـرو بـين الاسـتدلال العقلـي والحجـاج ، فـالأول مـرتبط بـالمنطق والثـاني مـداره علـى الخطـاب والخطـاب يكتسـب حجاجيتـه في قدرتـه علـى أن يفـرض علـى المخاطـب نوعـا محـددا مـن النتـائج، فكـل كـلام يكـون دعائيـا في عمقـه إذ مـن شـأنه

[1] عبد اللطيف **عادل: بلاغة الإقناع في المناظرة، مرجع سابق، الصفحة 95.**

[2] عبد اللطيف **عادل: بلاغة الإقناع في المناظرة، مرجع سابق، الصفحة 95.**

[3] عبد اللطيف **عادل: بلاغة الإقناع في المناظرة، مرجع سابق، الصفحة 97.**

أن يقـود المخاطـب إلى نتيجـة معينـه أو يصـرفه عنهـا ولأن ديكـرو يعتـبر الحجـاج نظامـا داخليـا للخطـاب فـإن هـذا النظـام يحـدد تـرابط عناصـر الخطـاب وتناميهـا بحيـث يبـدو الخطـاب سلسـلة مـن المكونـات الـتي تلـبي اشـتراطات محـددة وتشـير إلى مظـاهر الاستمرار المحتملة، كما توجه المكون اللاحق في هذا الاتجاه أو ذاك[1].

إن الوظيفـة الحجاجيـة الـتي تشـكل وظيفـة أوليـة في اللغـة فهـي ليسـت اسـتعمالا ثانويـا تقتضـي حسـب ديكـرو وأنسـكومبر إنجـاز تسلسـلات اسـتنتاجية داخـل الخطـاب[2] ، فيكـون الحجـاج في اللغـة إذن هـو إنتـاج متواليـات مـن الأقـوال بعضـها هـو بمثابـة الحجـج وبعضـها الآخـر هـو بمثابـة النتـائج[3]،بهـذا الاعتبـار فـإن الحجـاج تؤديـه مكونـات لغويـة هـي روابـط أو عوامـل أو صـيغ تصـلح فضـلا عـن محتواهـا الاخبـاري لإعطاء توجيه حجاجي للقول وتوجيه المخاطب في هذا الاتجاه أو ذاك[4].

إن الحجـاج في هـذه النظريـة لـه علاقـة دلاليـة تـربط بـين الأقـوال بحيـث يقـوم الاشـتغال الحجـاجي علـى تقـديم المـتكلم لقـول معـين يعتـبر حجـة يسـتهدف مـن خلالـه حمـل المخاطـب علـى القبـول بقـول آخـر يعـد نتيجـة، ولا تكتسـي هـذه الأقـوال طبيعتهـا الحجاجيـة إلا ضـمن سـياق معـين فمـا يمكـن أن يكـون حجـة في هـذا السـياق قـد لا يكـون كـذلك في سـياق آخـر حـتى ولـو تعلـق الأمـر بـنفس المحتـوى القضوي أو بنفس الحدث المعبر عنه داخل القول[5].

---

[1] عبد اللطيف **عادل : بلاغة الإقناع في المناظرة، مرجع سابق، الصفحة 97**.

[2] أبو بكر العزاوي: **البنية الحجاجية للخطاب القرآني، سورة الأعلى نموذجا، مجلة المشكاة، العدد19**، وجدة، 1994، الصفحة125.

[3] أبو بكر العزاوي: **البنية الحجاجية للخطاب القرآني، مرجع سابق، الصفحة 125**.

[4] عبد اللطيف عادل: **بلاغة الإقناع في المناظرة، مرجع سابق، الصفحة 98**.

[5] عبد اللطيف عادل: **بلاغة الإقناع في المناظرة، مرجع سابق، الصفحة 98** .

الفصل الأول : مفاهيم وتقاطعات الحجاج

✍ تعريف الحجاج

لغة :

الحجاج هو الغلبة بالحجج كما جاء في لسان العرب "حاججته أحاجه حجاجا ومحاجة حتى حججته أي غلبته بالحجة التي أدليت بها"[1]، والحجة هي البرهان وقيل:الحجة هي ما دوفع به الخصم وهو رجل محجاج أي جدل والتحاج التخاصم وجمع الحجة : حجج وحجاج ، وحاجه محاجة وحجاجا نازعه بالحجة"[2] نفهم من ما سبق ذكره أن الحجة هي البرهان والجدل وهي التخاصم وهي ما دوفع به الخصم.

وقال الجرجاني: الحجة ما دل به على صحة الدعوى وقيل الحجة والدليل واحد[3]، أي أن الحجة هي الدليل والبرهان وهي ما دل على صحة الدعوى.

وأشار الرازي في مختار الصحاح أن: "الحجة هي البرهان وحاجه فحجه من باب الرد أي غلبه بالحجة وفي مثل لج فحج فهو رجل محجاج بالكسر أي جدل والتحاج التخاصم والمحجة بفتحتين جادة الطريق"[4]، لم يفرق الرازي في تعريفه بين الحجة والبرهان والجدل والتخاصم حيث عبر على أنهما لا يختلفان عن بعضهما البعض.

---

[1] ابن منظور المصري: **لسان العرب، دار صادر، بيروت**، دت، الجزء2، الصفحة 228.

[2] علي محمد علي سلمان: **كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج(رسائله أنموذجا)**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، مملكة البحرين، الطبعة 1، 2010، الصفحة 48.

[3] -الشريف بن علي الجرجاني: **التعريفات، تحقيق إراهيم الأبياري**، دار الريان للتراث، د ط ،د ت، الصفحة 482.

[4] -الرازي: مختار **الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان**، الطبعة1، 1967، الصفحة 122-123.

والقرآن الكريم استعمل لفظ الحجاج في معناه الفني الذي انتهى إليه في أكثر من آية نحو قوله تعالى: « **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ** » (البقرة /258)

فالحجاج في الآية القرآنية جاء في معنى حاج بمعنى خصم وهو فعل جاء دال على وقوع الخصام وهنا يتبين لنا أن القرآن الكريم قد فرق بين معنى الحجاج والجدل، وقوله: « مَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ **فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ** »(سورة آل عمران /61)

والحقيقة أن القرآن خطاب حجاجي من الطراز الأول، لكونه جاء ردا على خطابات تعتمد عقائد ومناهج فاسدة[1]،ولكنه يتخذ من الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن أسلوبا في الدعوة إلى الدين الجديد، ويوظف من أجل ذلك جميع أنواع الحجج، سواء أكانت برهانية أو إقناعية لهذا حد تعبير الزركشي أن الحجاج اشتمل على جميع أنواع البراهين والأدلة[2].

أما في اللغة الأجنبية فأخذت كلمة Argument من الفعل اللاتيني Arguere وتعني جعل الشيء واضحا ولامعا وظاهرا وهي بدورها من جذر إغريقي (Argues) ويعني أبيض لامعا[3].

[1] آمنة البنغلي: **الإقناع المنهج الأمثل للتواصل والحوار، نماذج من القرآن والحديث، مجلة التراث العربي**، العدد79، السنة23، مارس2003، دمشق، الصفحة 4.

[2] الزركشي:**البرهان في علوم القرآن، تح معمد أبو الفضل إبراهيم** المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة 1، 2004، الجزء 2،الصفحة 17.

[3] علوي حافظ اسماعيلي: **الحجاج مفهومه ومجالاته(دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة)**، الجزء1، (الحجاج حدود وتعريفات) عالم الكتب الحديثة، إربد، الأردن،2010 ، الصفحة 2.

ويشير مصطلح Argue في اللغة الإنجليزية الحديثة إلى وجود اختلاف بين طرفين ومحاولة كل واحد منهما إقناع الآخر بوجهة نظره من خلال تقديم الأسباب أو العلل التي يراها حجة مدعمة أو داحضة لفكرة أو رأي أو أسلوب أو سلوك ما[1]، يتوضح لنا في هذا السياق الأجنبي أن مصطلحArgue هو إقناع الآخر وتقديم الحجج والبراهين للدفاع عن فكرة ما أو نفيها وتفنيدها.

ففي قاموس روبير **le rober** تمت الإشارة فيه إلى عدة معان للفظة argument "القيام باستعمال الحجج وكذلك هو مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة وهو كذلك فن استعمال الحجج أو الاعتراض بها في مناقشة معينة ونجدargument تشير إلى الدفاع عن اعتراض بواسطة الحجج"[2].

يتبين لنا مما سبق ذكره أن الحجاج هو سلسلة من الحجج التي تنتهي بنتيجة واحدة وهو الطريق الذي ينظم الحجج من أجل الدفاع عن اعتراض أو رأي ما.

وجاء في قاموس كامبردج Cambrig أن الحجاج هو الحجة التي تعلل أو تبرر مساندتك أو معارضتك لفكرة ما[3]، من خلال ما ذكر يتوضح لنا أن قاموس كامبردج يربط الحجاج بالتعليل و التبرير الذي بدوره يساندك في الحجاج عن قضية ما أو نفي ومعارضة رأي ما.

---

[1] علوي حافظ إسماعيلي: **الحجاج مفهومه ومجالاته**، مرجع سابق، الصفحة 3.

[2] Le grand Robert ,Dictionnaire de la langue français,1 rédaction ,paris,1989,p535.

[3] Cambrige Advencend learners:dictionary, canbrdge university press,2 nd pub,2004,p56.

اصطلاحا:

إن الحجاج كما عرفه بيرلمان هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسلي، فهذه النظرية التي وضع أسسها اللغوي الفرنسي أزفالد ديكرو منذ سنة 1973 نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثم أنها تنطلق من الفكرة الشائعة التي مؤادها «أننا نتكلم عامة بقصد التأثير» هذه النظرية تريد أن تبين أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية وبعبارة أخرى هناك مؤشرات عديدة لهذه الوظيفة في بنية الأقوال نفسها ولأحد[1].

يتوضح لنا مما سبق ذكره أن الحجاج نظرية نحقق جرائها الأهداف الحجاجية التي نقصد بها التأثير بحيث تحتوي لغة هذه النظرية على مؤشرات عديدة ومتنوعة.

نجد الحجاج يختلف في مفهومه من دائرة إلى أخرى، فهناك مفاهيم فلسفية ومفاهيم منطقية وأخرى بلاغية وتداولية وهذا ما جعل دلالات الحجاج تختلف وتتشعب من دراسة إلى أخرى[2]. يتبين لنا من هنا إن تعدد استخدامات الحجاج يفسر اختلافه وتشعبه.

لقد وظف أقطاب البلاغة القديمة الحجاج في مؤلفاتهم منهم الجاحظ الذي أشار في كتابه البيان والتبيين إلى الحجاج بقوله:" أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة

[1] أبو بكر العزاوي: **اللغة والحجاج، منتديات صور الأزبكية، الطبعة1**، 1426هـ،2006م، الدار البيضاء، الصفحة 14.

[2] حبيب أعراب: **الحجاج والاستدلال الحجاجي، مجلة عالم الفكر**، العدد1، المجلد30، سبتمبر2001 ،الصفحة 97.

وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش ساكن الجوارح قليل اللحظ متخير الألفاظ لا يكلم سيد الأمة ولا الملوك بكلام السوقة ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة "[1]، يتبين لنا من خلال قول الجاحظ أن الغاية والهدف من الخطاب الشفوي هو الإقناع و التأثير.

وأيضا نجد إسهامات الدراسات المعاصرة عند الغرب قد نالت نصيبا من الحجاج وذلك عند بيرلمان الذي طور في مؤلفاته كثيرا منهم مصنف في الحجاج المشترك مع تيتيكا الذي ظهر من قبل بأنه:" موضوع الحجاج هو درس تقنيات خطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"[2]، يتوضح لنا من هنا أن العملية الحجاجية عملية ذهنية تبدأ بالتسليم بالأطروحات وصولا إلى الإقناع.

أما الفرنسي أزفالد ديكرو فيعرف الحجاج بقوله" نظرية أساسية تهتم بالوسائل اللغوية التي يستخدمها المتكلم بصدد توجيه خطابه وجهة ما"[3] فهذه النظرية عنده نظرية مركزية تعتني بالوسائل اللغوية التي يستعملها المتكلم.

وقد عرف شارودو الحجاج بقوله"الحجاج مثل السرد هو كل ما يساهم في بنائه بشكل الانتظام الحجاجي، إن الحجاج هو حاصل نصي عن تأليف بين مكونات مختلفة تتعلق بمقام ذي هدف اقناعي فهذا النص كله أو بعضه سيكون بالإمكان

[1] أبو عثمان عمرو بن بحر **الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون**، دار الفكر، د ط،د ت، الصفحة 92.

[2] عبد الله صولة: **الحجاج أطره و منطلقاته، من خلال مصنف في الحجاج، الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكا** ، الصفحة 299.

[3] عبد الله صولة: **الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي**، بيروت، الطبعة2، 2007،الصفحة 33.

ظهوره في شكل حواري (حجاج حواري)مكتوب أو شفوي"[1] شبه شارودو انتظام الحجاج في بنائه بالسرد حيث يتكون من مؤلفات مختلفة ترتبط بالإقناع.

أما ميشال مايير فقد عرف الحجاج بقوله" الحجاج هو دراسة العلاقة القائمة بين ظاهر الكلام وضمنيه"[2] إذن فالحجاج عنده يقوم على الصريح والضمني أي الباطني.

وقد تطرقت أقطاب الدراسات العربية إلى الحجاج أمثال طه عبد الرحمان فهو يرى أن الأصل في تكوثر الخطاب هو صفته الحجاجية، بناء على أنه لا خطاب بغير حجاج[3]، فقد أقرن هنا الخطاب بالحجاج وربطهما ببعض وفند تفرقهما.

كما عرف الحجاج انطلاقا من مبدأين أساسيين هما قصد الادعاء وقصد الاعتراض إذ يقول: إذ حد الحجاج أنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها، نفهم من هنا أن الحجاج يتكون من عنصرين مهمين هما الادعاء والاعتراض فالحجاج هو كل ما نطق من أجل إفهام الغير.

✍ مجالات الحجاج:

للحجاج مجالات متنوعة ومختلفة وذلك بتنوع الخلفيات المعرفية المنبثقة عنها نذكر منها علاقة الحجاج بالإقناع وعلاقة الحجاج بالجدل وعلاقة الحجاج بالاستعارة.

---

[1] باتريك شارودو: **الحجاج بين النظرية والأسلوب، ترجمة أحمد الودرني، دار الكتاب الجديد** المتحدة، الصفحة 17.

[2] عبد الله صولة: **الحجاج في القرآن الكريم،مرجع سابق**، الصفحة 37.

[3] طه عبد الرحمان: **اللسان والميزان أو التكوثر العربي**، الطبعة1، 1998، الصفحة 213.

علاقة الحجاج بالإقناع:

تعني لفظة الإقناع في اللغة الرضا بالقول ويتبين لنا ذلك من خلال قول ابن منظور في لسان العرب يقول:" قنع بنفسه قنعا وقناعة:رضي، يقال فلان شاهد مقنع أي رضا يقنع به ورجل قناعي وقنعان ومقنع"[1]، نفهم من هنا أن الإقناع هو الرضا والإقبال والقبول بالرأي.

إن الهدف الأساسي للخطابة هو التأثير والإقناع وهذا الأخير لا يحدث إلا بوجود الحجج والبراهين وذلك لأن غاية المخاطب إقناع السامع ولا يتم الإقناع إلا بوجود أطراف عمليته الخطابية حيث يتكون من:

1_فاعل يقوم بعملية الإقناع يستلزم أن يكون القدرة على استمالة الجمهور إليه وإحداث تغيير في نفوسهم.

2_مادة اقناعية والمتمثلة في الحجة التي يتم من خلالها التوصل إلى إقناع المتلقي.

3_متلقي ويجب أن يكون المخاطب في هذه الحالة مهيأ لقبول الحجة والإقناع بها لأن العملية الإقناعية مبنية على الإقناع ولا يمكن أن تقوم على جانب واحد منهما[2].

إلى هنا نخلص إلى أن هناك تشابك واتحاد بين الحجاج والإقناع فلا يكون الحجاج بدون إقناع ولا يكون الإقناع بدون حجاج وعليه فيقول عطا الله محمد" الإقناع محصلة قول حجاجي ترفع بسلطته المسافة بين الإنسان والإنسان ويوجه

[1] ابن منظور جمال **بن مكرم بن علي: لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة 3**، 1414هـ/1993م ، الجزء 8، الصفحة 287.

[2] حمدان سليم: **أشكال التواصل في التراث البلاغي العربي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة ، 2008 –2009**، الصفحة 90.

لتحقيق أغراض مختلفة"[1]، نفهم من هنا أن الإقناع هو نتيجة الحجاج فيتمثل الإقناع في كونه غاية الحجاج الأساسية.

✍ علاقة الحجاج بالجدل:

الجدل في اللغة الخصام والمناظرة بالحجج ورد في لسان العرب أن الجدل هو مقابلة الحجة بالحجة أي المناظرة والمخاصمة....ويقال إنه جدل إذا كان شديد الخصام[2]، نعني بالجدل هنا هو تقديم الحجج لإثبات رأي أو تفنيد رأي ما،ويعرف أنه عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبهة[3]،فهو يتبين لنا أن الجدل هنا هو تنازع بين اثنين بالكلام لإثبات شيء أو إبطاله.

فالحجاج ليس إلا إيصال المخاطب إلى قناعات يجعلها أو ينكرها من خلال الحجة الدامغة والبرهان المصدق والدليل المؤيد،وهذا الهدف لا يتحقق بسهولة ويسر لأن المخاطب يملك استراتيجيات دفاعية تعطل استقبال القناعات الجديدة التي يتضمنها خطاب الحجاج، لذلك فإن الحجاج يستعين بالجدل لتفكيك استراتيجيات المخاطب الدفاعية وتعطيل قواه هذا في حال كونه منكرا لخطاب الحجاج ودعواه أما إذا كان جاهلا فإن المتكلم يلجأ إلى التدرج في الحجج والأدلة تمهيدا لتحقيق الاستجابة والتأثير الكاملين في المخاطب مؤيدا لخطاب الحجاج فإن على المتكلم مواصلة تعزيز قناعات المخاطب عن طريق تكرار الأفكار بلغة

---

[1] عطا الله محمد: **الاقناع في الخطاب الحجاجي (مقاربة لوسائل الاقناع في عيون البصائر)، دار الذهب الأسود، حاسي مسعود، ورقلة، الطبعة1**، 2013، الصفحة 17.

[2] ابن منظور: **لسان العرب، مرجع سابق، الجزء 11**، الصفحة 106.

[3] الكوفي: أبو البقاء أيوب **بن موسى الحنفي الحسني،كتاب الكليات، تح عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت،لبنان**،د.ط،1998،الصفحة 545.

جديدة ومن خلال الحجج الجديدة وتوليد الأدلة حيث يتعين على المتكلم أن يجدد أفق التخاطب بما يدعم موضعه الحجاجي، وذلك ليظل مسيطرا على مدارك المخاطبين وعقولهم وأفئدتهم ومن ثم ضمان تأييدهم خطاب الحجاج وبقائهم في مساحة التداول[1].

علاقة الحجاج بالاستعارة:

تظهر صورة الحجاج في النقائض من خلال القول المجازي وعلى وجه الخصوص من خلال الاستعارة،فبعدما ظهر ما يسمى بالبلاغة الجديدة تحول النظر إليها من مجرد وسائل تزينيه إلى كونها آليات حجاجية[2].

حيث نجد أرسطو قد قسم الاستعارة إلى ثلاثة أقسام:"وقد أقمنا هذا التمييز انطلاقا من مقام التواصل اليومي للخطاب فإذا كان الخطاب يهدف إلى الإقناع يكون حجاجيا وحين يهدف إلى الإبلاغ يكون عاديا ومن هنا الاستعارة الجمهورية تهدف على الإبلاغ والاستعارة الحجاجية تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف العاطفي أو الفكري للمتلقي في حين الاستعارة الشعرية لا تهدف إلا لذاتها"[3] يتبين لنا هنا أن أرسطو قسم الاستعارة إلى جمهورية وشعرية وحجاجية، فالحجاجية تهدف إلى الإقناع وتوجيه المتلقي إلى الوجهة التي يريدها المتكلم قصد تغيير أفكار المتلقي.

---

[1] ينظر: عبد الله صولة، **الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية** ،ط2،بيروت، تونس، دار الفارابي ودار المعرفة للنشر، 2007، الصفحة 10-11-12.

[2] مكلي شامة:**الحجاج في شعر النقائض(دراسة نصين لجرير والفرزدق)**، دار ميم للنشر، الجزائر، 2010 ،الصفحة 137.

[3] عمر أوكان: **اللغة والخطاب، إفريقيا الشرق، المغرب**، دط،2001 ،الصفحة 131.

والاستعارة في اللغة من العارية أي نقل الشيء من شخص إلى آخر فتكون الصفة المعارة من خصائص المعار عليه وقد كانت أكثر الوسائل البلاغية اجتلابا لاهتمام البلاغيين والنقاد فأغلبهم أجمعوا على أن الاستعارة إماتة من التشبيه ذكر أحد طرفيه أوهي نقل الاسم عن الشيء وهذا ما جعل النظر إلى الاستعارة منحصرا في الناحية الفنية الزخرفية، إما النظر إليها من وجهة نظر حجاجية فالفضل في ذلك يعود إلى العالم والناقد العربي عبد القاهر الجرجاني الذي أعطى لها مفهوما يجعلها تؤدي دورا فعالا في العملية الحجاجية[1]،حيث يعرفها بقوله"الاستعارة إنما إدعاء معنى الاسم للشيء لا نقل الاسم عن الشيء"[2] نافيا بذلك مسألة النقل التي قال بها البلاغيون قبله.

إن الادعاء كفعل حجاجي يستوجب إدخال المستعار له في جنس المستعار منه على وجه الحقيقة وذلك بخلق عالم ثالث هو العالم الممكن حيث يمكننا أن نجمع فيه بين بنيتين ونسقين مختلفين فنصير المستحيل ممكنا عن طريق الخيال لذلك اعتبره الجرجاني"أداة من أدوات الإقناع"ما يجعل الاستعارة تنفلت من بعض المبادئ المنطقية[3].

✍ نظريات الحجاج:

ينبني الحجاج في طابعه العام على طرح دعوى واستعراض الحجج والأدلة والبراهين للوصول إلى نتيجة وإقناع الآخر كما يهدف المحاجج إلى التأثير على المتلقي باستعمال

[1] مكلي شامة: **الحجاج في شعر النقائض**، مرجع سابق، الصفحة 138.

[2] عبد القاهر الجرجاني: **دلائل الأعجاز، شرحه وعلق عليه:محمد التونجي**، الطبعة 1، دار الكتاب العربي، بيروت،2005 ، الصفحة 208.

[3] مكلي شامة: **الحجاج في شعر النقائض**، مرجع سابق، الصفحة 138.

صيغ التأثير والإقناع ويمتاز الحجاج بمجموعة من النظريات والاتجاهات الحجاجية قديما وحديث.

✍ نظرية الحجاج الجدلي:

يراد بالجدل أو الديالتيك الجدل أو المحاورة أو استعراض الأفكار المتناقضة حول موضوع ما أي أن الجدل هو تبادل وجهات النظر المختلفة من أجل الوصول إلى حقيقة أو هو ذلك الجدال بين طرفين دفاعا عن وجهة نظر معينة ويكون غالبا تحت لواء المنطق أو اللوغوس أو مقاييس الاستدلال وينبني الجدل في المادية التاريخية الهيجيلية أو الماركسية على الأطروحة والنقيض والتركيب .

وقد يكون الجدل كميا أو كيفيا ويقوم بدور كبير في تغيير المجتمعات الإنسانية ويتحكم بشكل من الأشكال في تاريخ صيرورة الطبقات الاجتماعية وقد أصبح الجدل في الفكر الفلسفي الحديث دالا على كل التناقضات المادية التي تعرفها المجتمعات الإنسانية كما يؤشر أيضا على الديناميكية والحركية والتغيير[1].

ويمكن القول بأن الحجاج الجدلي هو الأقدم في تاريخ الإنسان حيث تحفل الكتب السماوية بالأخبار الدينية وقصص الرسل والأنبياء التي تتضمن الحجاج الجدلي سيما الجدل الذي تتعارض عبره الهداية والضلال أو الحق أو الباطل أو التوحيد والشرك، وكان أغلب الرسل والأنبياء يجادلون قومهم بالتي هي أحسن يقول الله تعالى: «وادْعُ إِلى سبيلِ رِبك بِالحِكْمةِ والْموْعِظةِ وجادِلْهُمْ بِالْتِي هِي

[1] جميل حمداوي: **نظريات الحجاج، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، الطبعة** 1، السعودية، 2011، الصفحة 8.

أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» (سورة النحل/الآية 125)[1].

هذا وقد عرف الفلاسفة اليونان الأوائل بالمنهج الجدلي كما هو حال سقراط والسفسطائيين واتخذوه منهجا لإقناع الآخرين أو التأثير فيهم وهناك من استعمله للتضليل والتشكيك وتعتيم الحقيقة كما عند معلمي السفسطة، وإذا كان أفلاطون فيلسوفا عقلانيا برهانيا ألا إنه وظف الجدل التوليدي مثل أستاذه سقراط كما يظهر ذلك جليا في مجموعته من محاوراته الفلسفية مثل محاورة جورجياس ومحاورة فيدر وكان الجدل عنده هو المنهج الذي به تتجرد النفس من المحسوس وترتفع إلى المعقول دون استخدام المحسوس وإنما يتم من خلال الانتقال من فكرة إلى فكرة بواسطة فكرة وتنقسم الجدلية عنده إلى نوعين: جدلية صاعدة من العالم المحسوس إلى الخير الأسمى وجدلية هابطة من الخير الأسمى إلى العالم المحسوس ومن ثم فالجدلي هو الذي يحسن السؤال والجواب[2].

هذا وقد عرفت الثقافات الإسلامية في العصور الوسطى الجدل الفكري أو المقياس الجدلي خصوصا مع علماء الكلام والفلاسفة إذ تناول علماء الكلام بعد نشوب الفتنة الكبرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهما وظهور مجموعة من الفرق الكلامية كالمرجئة والاشاعرة والشيعة والخوارج والمعتزلة مجموعة من القضايا المتعلقة بحقائق أصول الدين والعقيدة كالتوحيد والعدل والأمر والنهي عن المنكر ولقد اختار علماء الكلام منهج الجدل والمناظرة من أجل الدفاع عن هذه الحقائق

[1] جميل حمداوي: **نظريات الحجاج، مرجع سابق، الصفحة 9**.

[2] ينظر: جميل حمداوي، **نظريات الحجاج، مرجع سابق، الصفحة 12** .

الدينية وإبداء وجهة النظر في المسائل الدينية والسياسية العويصة التي فرضها الواقع السياسي وذلك في علاقته بفقه النص وفي هذا الصدد يعرف ابن خلدون علم الكلام بأنه"العلم الذي يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذهب السلف وأهل السنة"[1]، يتبين لنا من قول ابن خلدون أن الحجاج يحتوي على الأدلة العقلية وهو من البراهين للرد على اعتقادات الخاطئين ومن المعروف أن الجدل والمناظرة يخضعان نظريا لمجموعة من الثوابت المنهجية مثل وجود المدعى والمدعى عليه ووجود دعوى الاعتراض والارتكان إلى الدليل واستعمال العقل والمنطق في التناظر والانطلاق من المسلمات والبديهيات بغية الحجاج والتأثير والإقناع[2].

ويلاحظ أن أهم الفرق الكلامية التي كان لها باع كبير في عملية الحجاج نذكر منها: المعتزلة والأشاعرة فالفرقة الأولى كانت عقلانية تعطي الأولوية للعقل قبل ورود النص فترى العقل السبيل الوحيد لمعرفة الصواب من الخطأ وقد دافعت عن حرية الإنسان في خلق أفعاله ضد الجبرية التي كانت تقول بأن الإنسان مجبر على أداء أفعاله خيرا وشرا، وإذا كان علماء الكلام يستعملون الجدل والعقل والمنطق والبرهان في الدفاع عن الحقائق الدينية والسياسية فإن ثمة انتقادات توجه إلى علم الكلام فإن ابن رشد مثلا يرى أن منهج علماء الكلام منهج افتراضي قائم على الجدل والاحتمال ينطلق من مقدمات افتراضية ويصل إلى نتائج افتراضية ويشبه هذا المنهج بمنهج الشكاك[3].

[1] ابن خلدون:**تاريخ ابن خلدون،الجزء الأول، الناشر دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان،الطبعة4، الصفحة 485**.

[2] ينظر:جميل **حمداوي، نظريات الحجاج، مرجع سابق، الصفحة 13**.

[3] ينظر: جميل حمداوي، نظريات الحجاج ، مرجع سابق ، الصفحة 14.

ومن السفسطائيون الذين كانوا ينطلقون من نتائج خاطئة ويصلون إلى نتائج خاطئة في حين إن منهج الفلاسفة منهج برهاني ينطلق من نتائج يقينية ليصل إلى نتائج يقينية[1].

وعليه فقد تسلح علماء الكلام بالجدل والمناظرة من أجل الدفاع عن الحقيقة الربانية وتنزيه الذات الإلهية من كل نقص أو عجز، ولو أخذ المسلمون بمنهج المعتزلة في إدراك الحقائق بدلا من إتباع المنهج الأشعري فاستخدموا العقل والبرهان ثم دافعوا عن حرية الإنسان في الخلق والابتكار لكانوا في مكانة أحسن من مكانتهم التي أصبحوا عليها الآن[2].

أما إذا انتقلنا إلى الثقافة الغربية المعاصرة فما زال الحجاج الجدلي حاضرا في الخطابات السياسية والإعلامية والمناظرات والسجلات الحوارية مثل الاتجاه الجدلي التداولي مع دوغلاس والتون،ويعني هذا الاتجاه بدراسة الحجة أوالد ليل في بعديه المنطقي والسياقي واستكشاف القواعد التي تتحكم في الدليل الحجاجي داخل حوار ما ويعرف دوغلاس الجدلية التداولية بأنها التي تدرس الدليل الحجاجي داخل سياق حواري ما لمعرفة طرائق الاستدلال والبرهنة العقلية ويقصد بالتداولي وجود تواصل وجدل بين الأطراف المتحاورة باستخدام الأدلة الحجاجية حيث تختبر الأدلة الحجاجية في علاقة مع تطورها داخل سياق خطابي ما ومن المؤثرات التي تحكمت في هذه النظرية تصورات كل من بول لوريترن وإيريك كراب وجاكو

[1] ينظر: جميل حمداوي، نظريات الحجاج ، مرجع سابق، الصفحة 15.

[2] ينظر: جميل حمداوي، **نظريات الحجاج ، مرجع سابق،الصفحة 17**.

هينتيكا وودس إذ تسعى الجدلية التداولية إلى فهم الأدلة الحجاجية وتحليلها ونقدها وفرز الدليل الصائب من الدليل الضعيف[1].

وبناء على ما سبق تدعو الجدلية إلى وضع برنامج لدراسة الحجاج الذي يظهر بشكل واضح في نقد الحجج بشكل واضح في نقد الحجج التي تتضمنها الحوارات اليومية والواقعية، فهي تساعدنا على فهم الأدوات المستعملة في بناء الحوار الجدلي بالتركيز على السياق وهنا يقترب الجدل التداولي من الحجاج بمفهومه العام والخاص بمعنى أن الجدل هنا لا يقتصر على ما هو حواري فقط بل يبحث عن الطابع المقاصدي باستكشاف التأثير والإقناع وخلاصة القول أن الجدلية التداولية ترتبط بدوغلاس واطسون وهي جدلية نقدية جديدة منقحة تضع مجموعة من المعايير لتقوم الحجج الموجودة داخل حوار ما أي تقوم بنقد الحجج والأدلة وتتم دراسة هذا الحجاج في الحوارات العادية ومن ثم يتمثل طابع تداولي في وجود أطراف تواصلية متعددة يتم بينها الجدل بطرح الأفكار ومناقشتها ويحلل الدليل الحجاجي بربطه بوظيفته التي تتمثل في تحقيق الهدف بغيه الوصول إلى الدليل الصائب أو الأقوى في سلم الحجاج[2].

✍ النظرية الكلاسيكية للحجاج البلاغي (أرسطو)

يعد أرسطو فيلسوفا موسوعيا شاملا،لأن فلسفته تتفتح على كل ضروب المعرفة والبحث العلمي، فهي تبحث في الطبيعة والميتافيزيقيا والنفس والسياسة والشعر والمسرح، وقد وضع أرسطو المنطق الصوري الذي كان له تأثير كبير على

[1] ينظر: جميل حمداوي، **نظريات الحجاج ، مرجع سابق،الصفحة 19**.

[2] ينظر:جميل **حمداوي، نظريات الحجاج، مرجع سابق، الصفحة 20**.

كثير من الفلاسفة، ويذهب أرسطو إلى أن العالم الحقيقي هو العالم الواقعي المادي،أما العالم المثالي فهو غير موجود وأن الحقيقة لا توجد سوى في العالم الذي نعيش فيه خاصة في الجواهر التي تدرك عقلانيا ولا توجد الحقيقة في الأعراض التي تتغير بتغير الأشكال[1].

ويعد أرسطو كذلك من الفلاسفة اليونانيين الأوائل الذين نظروا للبلاغة من خلال رؤية حجاجية فقد خصها بكتابين هامين هما (الريطوريقاز/البلاغة) و (الحجج المشتركة) وقد قسم أرسطو كتابه البلاغة إلى أقسام ثلاثة:القسم الأول يتعلق بمفهوم البلاغة وموضوعها ومناهجها وعلاقتها بالجدل، في حين يتناول القسم الثاني ما يتعلق بالتأثير على الآخر أما القسم الأخير من الكتاب فيتناول صفات الأسلوب وآثاره الفنية والجمالية والحجاجية[2].

وقد فضل أرسطو البلاغة على المنطق لأن البلاغة أكثر فعالية في المجتمع وأداة ناجعة في تفعيل الجدل والخوض في المناقشات السياسية والفكرية وقد جعل أرسطو من البلاغة أداة تطبيقية تتخلل المنطق والسياسة والأخلاق ومن ثم فالبلاغة هدفها الإقناع والوصول إلى الحق والعدالة عبر الجدل والاستدلال البرهاني وعليه فقد كانت البلاغة عند أرسطو خطابا حجاجيا يقوم على وظيفتي التأثير والإقناع ويتوجه إلى الجمهور السامع قصد توجيهه أو إقناعه إيجابا أو سلبا[3].

وفي هذا النطاق يقول أرسطو" ويحصل الإقناع حين يهيأ المستمعين ويستمليهم القول الخطابي حتى يشعروا بانفعال ما والخطاب هو الذي ينتج الإقناع حينما

[1] ينظر:جميل **حمداوي ، نظريات الحجاج، مرجع سابق، الصفحة 21**.

[2] ينظر:أرسطو،**فن الخطابة، تلرجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة1، 2008** ،الصفحة 11.

[3] ينظر:**جميل حمداوي، نظريات الحجاج، مرجع سابق، الصفحة 22**.

نستخرج الصحيح والراجح من كل موضوع محتمل أن يقع فيه الإقناع"[1]،نفهم من ما قاله أرسطو أن الإقناع عنده هو عندما ينفعل المستمع للخطاب ويقتنع به ويعرف الصحيح من الخطأ.

✍ نظرية الحجاج اللغوي:

تهدف نظرية الحجاج اللغوي أو اللساني التي وضعها كل من أنسكومبر و أزوالد ديكرو إلى دراسة الجوانب الحجاجية في اللغة ووصفها انطلاقا من فرضية محورية ألا وهي" أننا نتكلم عامة بقصد التأثير أي تحمل اللغة في طياتها بصفة ذاتية جوهرية وظيفة حجاجية تتجلى في بنية الأقوال ذاتها صوتيا وصرفيا وتركيبيا ودلاليا ومن ثم تنتمي دراسة الحجاج إلى البحوث التي تسعى إلى اكتشاف منطق اللغة أي القواعد الداخية للخطاب والمتحكمة في تسلسل الأقوال وتتابعها وبعبارة أخرى يتمثل الحجاج في إنجاز تسلسلات استنتاجيه داخل الخطاب"[2].

وعليه تندرج نظرية الحجاج اللغوي ضمن النظريات الدلالية الحديثة التي تقدم تصورات جديدة حول المعنى وتقترح مقترحات جادة حول كثير من القضايا والظواهر اللغوية وتتجاوز مجموعة من المشاكل المنطقية الكلاسيكية خاصة المشاكل المرتبطة بالدور التفسيري لمفهوم الصدق[3].

هذا وتتعارض النظرية الحجاجية اللغوية مع مجموعة من النظريات الحجاجية الكلاسيكية مثل التي تنتمي إلى البلاغة الكلاسيكية عند أرسطو أو التي تنتمي إلى البلاغة الحديثة كما عند بيرلمان وميشيل مايير وتنطلق هذه النظرية من

[1] أرسطو:**فن الخطابة، مرجع سابق، الصفحة 16**.

[2] أبو بكر العزاوي: **اللغة والحجاج، العمدة في الطبع ، الدار البيضاء**، الطبعة1، 2006 ، الصفحة 8.

[3] أبو بكر **العزاوي: اللغة والحجاج، مرجع سابق**، الصفحة 8-9.

تصورات أزوالد ديكرو كما بينها بشكل جلي في نظريته الحجاجية سنة 1973 أنها نظرية لسانية تعنى بالوسائل اللغوية الحجاجية التي تتضمنها اللغات الطبيعية مع دراسة الأهداف الحجاجية ورصد تأثيرها التداولي على المستمع ويعني هذا أن الأقوال اللغوية تحمل في جوهرها مؤشرات لسانية ذاتية تدل على طابعها الحجاجي دون أن يكون ذلك متعلقا بالسياق التداولي الخارجي فإذا قلنا المغاربة أفارقة، زيد مغربي إذا زيد إفريقي فهذا برهان أو قياس منطقي حتمي وضروري أما إذا قلنا انخفضت درجة البرودة إذا سيمرض زيد فهذا حجاج أو استدلال طبيعي غير برهاني يحمل استنتاجا احتماليا.

ويشير ديكرو إلى أن الحجاج يتميز عن البرهنة بكونه يتأسس على بنية الأقوال اللغوية مثل: "أنت مرهق إذا فأنت بحاجة إلى الراحة " تتضمن هذه الجملة دلالات حجاجية فهناك الحجة والدليل (أنت مرهق) والنتيجة (أنت في حاجة إلى الراحة) والدليل على الطبيعة الحجاجية لهذه الجملة هو وجود الرابط الحجاجي"إذا"[1].

وهكذا يتبين لنا بأن الحجج اللغوية سياقية تتحدد بالسياق اللغوي فقد تكون العبارة الواحدة إما حجة وإما نتيجة، وتكون الحجج اللغوية نسبية ما دامت هناك حجج مضادة محتملة ومن هنا يمكن القول بأن هناك حججا قوية وحججا ضعيفة وحججا أوهى وحججا أضعف...ويعني أن هذا الحجاج اللغوي نسبي

[1] ينظر: جميل حمداوي، **نظريات الحجاج، مرجع سابق، الصفحة** 34.

ومـرن وتـدريجي وسـياقي بخـلاف البرهـان المنطقـي والرياضـي الـذي هـو مطلـق وحتمي[1].

وفي الأخـير نسـتنتج أن منهجيـة ديكـرو تعتمـد علـى وصـف الشـواهد اللغويـة أو النصـية في ضـوء رؤيـة لغويـة حجاجيـة تركيبـا ودلالـة وتـداولا مـن خـلال التركيـز علـى مجموعـة مـن المفـاهيم الاجرائيـة متـل الـروابط الحجاجيـة والعوامـل الحجاجيـة والمبـادئ والعلاقـات الحجاجيـة والسـلم الحجـاجي والسـياق والنتـائج والاسـتعارة الحجاجية[2].

✍ نظرية الحجاج التداولي:

لقـد ربـط الاتجـاه التـداولي الحجـاج بنظريـة أفعـال الكـلام والاسـتلزام الحـواري فـالنص الأدبي لـيس مجـرد خطـاب لتبـادل الأخبـار والأقـوال والأحاديـث، بـل يهـدف إلى تغيـير وضـع المتلقـي عـبر مجموعـة مـن الأقـوال والأفعـال الانجازيـة وتغيـير نظـام معتقداتـه أو تغيـير موقفـه السـلوكي مـن خـلال ثنائيـة افعـل ولا تفعـل والخطـاب في مفهـوم التـداوليات التحليليـة الـتي ظهـرت في سـنوات الخمسـين مـن القـرن العشـرين مـع أوسـتين في كتابـه نظريـة أفعـال الكـلام وسـورل في كتابـه أفعـال اللغـة عبـارة عـن أفعـال كلاميـة تتجـاوز الأقـوال و الملفوظـات إلى الفعـل الانجـازي والتـأثير الـذي يتركـه ذلـك الانجاز[3].

ومـن هنـا فنظريـة الأفعـال الكلاميـة علـى ثلاثـة عناصـر رئيسـية وهـي: أولا، فعـل القـول ويـراد بـه إطـلاق الألفـاظ قـي جمـل مفيـدة سـليمة التركيـب تشـتمل علـى

[1] أبو بكر العزاوي، **اللغة والحجاج، مرجع سابق، الصفحة** 20.

[2] ينظر:جميل حمداوي، **نظريات الحجاج، مرجع سابق، الصفحة 41**.

[3] جميل حمداوي: **نظريات الحجاج، مرجع سابق، الصفحة 52**.

مستوى صوتي وتركيبي ودلالي مثل أشكرك يا علي، وثانيا الفعل المتضمن في القول وهو الفعل الانجازي الذي يحدد الغرض المقصود بالقول كصيغة الأمر في هذه الجملة انتظري اللحن الجديد وثالثا، الفعل الناتج عن القول وهو ما ينتج من القول من آثاره لدى المخاطب وإرشاده وتوجيهه وتحضر هذه المستويات الثلاث للفعل الكلامي[1].

ويميز أوستين بين الجمل الخبرية والجمل الانجازية وتتنوع هذه الأقوال الانجازية إلى أقوال ظاهرة وأقوال مضمرة فالأقوال الانجازية قد تكون لها قوة حرفية مثل الاستفهام والتمني والنهي...وقد تكون لها قوة انجازية حوارية وسياقية مثل الالتماس والإرشاد والتهديد ، ويعني هذا أن كله أن الفعل الكلامي ينقسم إلى ثلاثة أنواع: فعل القول والفعل المتضمن في القول والفعل الناتج عن القول قد لا يدل الفعل المتضمن في القول على دلالته المباشرة بل يفيد معنى انجازيا آخر يحدده سياق القول إذا فللجملة الواحدة ثلاثة مستويات: محتواها القضوي وهو مجموع معاني مفرداتها والقوة الانجازية الحرفية وهي قوة مدركة مقاليا والقوة الانجازية المستلزمة هي التي تدرك مقاميا ويعني هذا أن أوستين يربط الأقوال والمقال بالمقام.

ومن جهة أخرى ترى المقاربة التداولية والوظيفية بأن الخطاب الأدبي استلزام حواري وانجازي وهنا نتحدث بطبيعة الحال عن الدلالات الصريحة والضمنية فالاستلزام الحواري يتعلق بالدلالات البلاغية الضمنية التي يستلزمها السياق الكلامي ومن ثم يرتبط الاستلزام الحواري بنظرية الأفعال كما هي عند أوستين

[1] ينظر: جميل حمداوي، **نظريات الحجاج ، مرجع سابق، الصفحة 52**.

وسورل أي ينتقل الكلام من نطاق حرفي وقضوي مباشر إلى معنى حواري استلزامي عير مباشر ويتحكم فيه المقام أو السياق التداولي[1].

ويرى كريس أيضا أن جمل اللغة الطبيعية قد لا تدل على معانيها القضوية المباشرة والحرفية بل تخرج إلى دلالات سياقية انجازية، لذا صاغ قانون التعاون بمبادئه الأربعة: مبدأ الكم ومبدأ الكيف ومبدأ التعبير ومبدأ المناسبة ويسمى كرايس هذا النوع من الجمل الانجازية التي تحمل معاني سياقية ضمنية بالاستلزام الحواري[2].

فإذا انتقلنا إلى النص الأدبي لتحليله تداوليا، فنقوم بتصنيف العبارات اللغوية سيما البلاغية منها خبر كانت أم إنشاء، إلى عبارات صريحة المعنى فنحدد أفعالها القضوية ثم تبيان قوتها الانجازية الحرفية وبعد ذلك ننتقل إلى استكشاف المعاني الضمنية، سواء أكانت اقتضائية أم منطقية، ومن ثم ننتقل إلى الاستلزام الحواري بإستكشاف المعاني الانجازية السياقية والمقامية سواء الخاصة منها أم العامة ويمكن الاستعانة بالمفاهيم التي تنبني غليها التداوليات الوظيفية لاستخلاص المعاني الاستلزامية السياقية والمقامية من خلال التركيز على الأدوار التركيبية النحوية والأدوار الدلالية والأدوار التداولية ويمكن أيضا تصنيف أفعال النص الأدبي إلى أفعال تلفظية وأفعال قضوية و أفعال اقتضائية وأفعال اقتضائية وأفعال عرفية وأفعال انجازية حرفية وأفعال انجازية سياقية[3].

[1] ينظر: جميل **حمداوي، نظريات الحجاج، مرجع سابق، الصفحة 54.**

[2] ينظر: جميل **حمداوي، نظريات الحجاج، مرجع سابق، الصفحة 55.**

[3] ينظر: جميل **حمداوي، نظريات الحجاج ،مرجع سابق، الصفحة 58-59.**

منهجية تحليل النص الحجاجي:

تهدف المقاربة الحجاجية إلى تحليل النصوص أو الخطابات التي تتضمن أبعادا حجاجية مباشرة أو غير مباشرة لذا، على الباحث أن يحلل النص بنية ودلالة ووظيفة،ويستخرج المقاييس الحجاجية وخطاطاتها المبنية ذهنيا من قبل المتكلم والمخاطب على حد سواء، وتجريد التمثلات المشتركة بين الأطراف المتحاورة وتصنيف المقاييس والمقولات الحجاجية ووصفها وتفسيرها لغويا وبلاغيا وتداوليا وجدليا وخطابيا، بمعنى أنه لا بد من الاستعانة بمجموعة من النظريات المتكاملة في مقاربة الخطابات ذات البعد الحجاجي.

وقد يعتمد التحليل الحجاجي على مفاهيم أرسطومثل: القياس والمماثلة والاستدلال المنطقي وهناك من يتبنى نظرية أنسكومبر وديكرو في رصد الظواهر اللغوية التي تحمل في طياتها ملامح حجاجية قائمة على التعارض أو السبب أوالاستنتاج أو الهدف أو الاقتراض....

وهناك من يوسع البحث الحجاجي ليبحث في تصنيفات أخرى كالاعتماء على المنطق الصوري لرصد أخطاء الفكر وأوهامه وتناقضاته أو الاعتماد على المنطق الطبيعي لرصد مختلف التمثلات المعرفية والاجتماعية التي تجمع بين طرفي التواصل في سياق زماني ومكاني وثقافي معين على بنية الخطاطات الحجاجية[1].

وينضاف إلى هذا أن الحجاج عبارة عن ملفوظات واقتراحات متسلسلة بشكل منطقي وواضح لا بد من تجريدها والبحث عن مظاهرها الحجاجية واستجلاء طريقة بنائها وانتظامها داخل مسار حجاجي معين وداخل سياق استدلالي محدد

[1] ينظر: جميل حمداوي، **نظريات الحجاج، مرجع سابق، الصفحة 60**.

ولابد للمحلل من التركيز على اللغة الطبيعة أو اللوغوس،لان الحجاج النصي أو اللغوي يبنى عبر مجموعة من الروابط والمؤشرات التلفظية والوسائل المنطقية فلا بد من استخلاص هذه القرائن اللغوية وتصنيفها ومعرفة دلالتها ووظائفها وبنياتها ولا بد من استحضار شبكة التواصل التي تجمع بين الأطراف المتحاورة وهنا لا بد من الاستعانة بنظرية سياق التلفظ كما عند بنيفست بتحديد المتلفظ وطبيعته وسياق تواجده وكذلك خصائص المتلفظ إليه وتبيان الإرسالية وسياقها الزماني والمكاني والدلالي[1].

وعليه تنبني منهجية الحجاج على تحديد السياق التواصلي والإطار الاجتماعي التاريخي وتبيان مقاييس الحجاج واستكشاف الأدوات اللغوية الحجاجية كالصور البلاغية والأساليب (الحوار،السرد، الأسلوب المباشر،الأسلوب غير المباشر)[2].

✍ أنواع الحجاج:

يختلف كل نوع عن الآخر سواء في الشكل أو المضمون أو في ردة فعل المتلقي وقد تطرق إليها طه عبد الرحمان في كتابه "اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي" .

أ. الحجاج التجريدي : يهتم هذا النوع بالشكل فقط أي يعتني بالعبارات دون المضامين فحسب طه عبد الرحمان :"فهو الإتيان بالدليل على الدعوة على طريقة أهل البرهان علما أن البرهان هو الاستدلال الذي يعنى بترتيب صور العبارات بعضها على بعض بصرف النظر عن مضامينها و استعمالاتها[3].

[1] ينظر: جميل حمداوي، **نظريات الحجاج، مرجع سابق، الصفحة 60**.

[2] ينظر:جميل حمداوي، **نظريات الحجاج، مرجع سابق، الصفحة 61**.

[3] مسعود صحراوي :**التداولية عند علماء العرب ،ص 55**

ب. الحجاج التوجيهي : " هو إقامة الدليل على الدعوة بالبناء على فعل التوجه الذي يختص به المستدل ،علما أن التوجيه هنا هو فعل إيصال المستدل لحجته إلى غيره ، فنجده يولي أقصى عنايته إلى قصوده وأفعاله المصاحبة لأقواله الخاصة"[1]. هذا النوع من الحجاج يهتم بالمخاطب فقط و يشتغل على إيصال الرسالة إلى المتلقي.

ج. الحجاج التقويمي : هذا النوع يهتم بالمخاطب و رأيه أي أنه يهتم برد فعل المتلقي " و هو إثبات الدعوى بالإسناد إلى قدرة المستدل على أن يجرد من نفسه ذاتا ثابتة بإنزالها منزلة المعترض على دعواه فهاهنا لا يكتفي المستدل بالنظر في فعل إلقاء الحجة إلى المخاطب ،بل يتعدى ذلك إلى النظر في فعل التلقي باعتباره هو نفسه أول متلقي فيبني أدلته أيضا على مقتضى ما يتعين من المستدل له "[2] ففي هذا النوع نجد أن طه عبد الرحمان وضع اعتبارا للمتلقي و بين دوره الفعال في العملية الخطابية.

يجب أن تكون هناك اعتراضات المتلقي ،لأنه إذا لم يكن هناك نزاع بين الطرفين فقد يفقد الحجاج قوته ، ويتضح أن الحجاج التقويمي هو أفضل أنواع الحجاج لأنه هو الذي يوفر شروط في العملية الحجاجية.

مفهوم الرابط و العامل الحجاجي :

إن خاصية نظرية الحجاج في اللغة هي خاصية لغوية ثابتة تحمل في بنائها واسمات تحقق الوظيفة الحجاجية وتبرز الروابط.

[1] طه عبد الرحمان : **اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ،ص226**

[2] **المرجع نفسه ص227**

و العوامل الحجاجية وأهمية هذه لواسمات التي تساعد على فهم الخطاب و تأويله من أجل الوصول إلى قصد المخاطب،فهي كإشارات مرور للسائر في دروب الخطاب ، تساعد على اتساق أجزاء الخطاب.

و يعتبر "موضوع الروابط التداولية موضوعا أساسيا في تحديد بنية الخطاب لكونه آلية مهمة في عملية الربط داخل النسق المقول ، وقد اهتم التنظير الروابط في اللغات الطبيعية انطلاقا من دورها في فهم الأبعاد الدلالية ، التي تؤدي دور القرائن في ترجيحها ، كما ساهمت مرجعيتها في تقسيم أطراف الكلام بين مقول منطوق و مقتضى مسكوت عنه ولها وجودها في الكلام بمساهمة منطقية في ترتيب الأغراض التي تقتضيها الجمل[1].

مفهوم الرابط الحجاجي :

يعرف الرابط في معجم "باتريك شاردو" و"دوميك منغنو "

(patrick charaudeau / Dominique Maingueneau)

بأنه : " يوسع مفهوم العاطف التقليدي بجمع عبارات تنتمي إلى مقولات نحوية متنوعة من نوع أدوات العطف ، و أدوات و عبارات الربط التعليقي و الردائف و تحليلها يبرز الوظيفة المشتركة بين هذا القسم من الكلمات و هي الربط الذي تحدثه بين السياق اللغوي يمين الملفوظ الذي يتصل به و ذلك الملفوظ نفسه . و هدفها أن تكون أقساما صغرى ، حسب طبيعة هذا الرباط الدلالية كالقياس و إعادة الصياغة و التعداد أو المحاجة [2].

[1] رضوان الرقبي :**الاستدلال الحجاجي و آليات اشتغاله ،ص 102**

[2] باتريك شارودو – دومينيك منغنو :**معجم تحليل الخطاب ترجمة عبد القادر المهيري –** حمادي صمود مراجعة صلاح الدين الشريف ،تونس ،2008 ص127

و هو ثلاثة أنواع :

يمكن تأويل بعض الروابط و هذا التأويل يعتمد على قيمة الصدق للقضيتين اللتين وقع الربط بينهما مثل { فالاستلزام"إذا كان القمر جبنا رخوا ،إذن نابليون مات بالقديسة هيلانة " صحيح بما أن القضية الأولى كاذبة ، و الثانية صادقة و عملا بحد الاستلزام المنطقي يترتب الصادق على الكاذب :فمن الكاذب نستطيع أن نستنتج ما شئنا ،كما أننا نستنتج الكاذب كما نستنتج الصادق }.

الروابط و الظرفيات :

الروابط قابلة للتأويل أيضا في إطار النظرية البلاغية الأنطولوجية لظروف الفعل التي كيفت و أصبحت في النحو تعرف بنظرية المتممات الظرفية . و لغتها الواصفة أكثر ثراء من سابقتها .فالتسلسل " أ لكن ب"،على سبيل المثال ،يمكن أن يحلل باعتباره «أ» معارض «ب».و كذلك فبينما كان ،في إطار تأويل منطقوي ،تحليل الروابط « إذا» و«إذن »و« لأن »و « بما أن»و«بالنتيجة »وفقا على الاستلزام ،فإننا في الإطار الجديد نستطيع أن نستعين بالعلاقة سبب-نتيجة .و هذه الأخيرة تقحم في الاستلزامات معنى و تمكن من رفض التسلسل غير المرغوب فيه «إن كان القمر جبنا رخوا إذن نابليون مات بالقديسة هيلانة»،إنها تستجيب على ما يرام للجمل المحاكية حدسا و تفتح الباب على إشكالية **التفسير و" الحجاج "**[1].و نظرية ديكرو المسماة "نظرية الحجاج في اللغة " توحد علاقة الحجة –نتيجة بعلاقة الدلالة باعتبار معنى الملفوظ {الحجة } مايتلوه { النتيجة التي يقصد إليها } وهي تعمم هذا الأسلوب في الوصف على

[1] باتريك شارودو: **معجم تحليل الخطاب** ،**المرجع** نفسه ص128-129

كل استعمالات "لكن " و تعممها نظريا على كل الروابط. كما أن الفرق بين عمل المحاجة و عمل الاستدلال أي أن لعمل المحاجة جانبين أحدهما هو تقديم الحجة و الآخر هو استخلاص النتيجة فهذه ليست علاقة اعتباطية ،فما الذي يجعل قولا على أنه حجة تفرض هذه النتيجة دون غيرها ؟[1].

و الجواب الذي يدور حول هذا السؤال هو البحث عن القواعد و المبادئ التي تحكم الربط عند المحاجة بين النتيجة و حجتها.

إن الجملة عند دكرو و أنسكومبر من الناحية المستوى الاعرابي و المعجمي تتضمن وجهة حجاجية تحدد معناها قبل أي استعمال لها و لكن القول أن استعمال الجملة في القام يفرض ضربا من النتائج دون غيرها و هذا يستلزم أن القول لا يصلح لأن يكون حجة لهذه النتيجة أو تلك إلآ بموجب الوجهة الحجاجية المسجلة فيه[2] .و ما جاء من الوجهة الحجاجية هو المكونات اللغوية المختلفة للجملة التي تحدد معناها و تضيق أو توسع من احتمالاتها الحجاجية و هذه المكونات اللغوية هي التي تحدد طرق بين النتيجة و حججها مثل :

أ/- لن تفتقر فثمن التذكرة ثلاثون دينارا .

فهنا كان استعمال الحجة نفسها" ثمن التذكرة ثلاثون دينارا " من أجل تدعيم النتيجة المعاكسة "ستفتقر ".

ب/-ستفتقر فثمن التذكرة ثلاثون دينارا .

[1] -ينظر :حمادي صمود :**أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، عن شكري المبخوت** ،ص375

[2] ينظر :حمادي صمود :**أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، عن شكري المبخوت** ،ص375-376

و الملاحظ هنا أن قول الحجة يصلح للنتيجة و ضدها فهو قول محايد من حيث وجهته الحجاجية لذلك جاءت إمكانيات الربط بينه وبين جمل أخرى واسعة .

و لكن حين المقارنة أ – و ب :

أ–لن نفتقر فما ثمن التذكرة إلآ ثلاثون دينارا

ب– ستفتقر فما ثمن التذكرة إلآ ثلاثون دينارا

نجد أن /ب/ غير سائغ في حين أن الربط في /أ/ حسن جميل غير أن ذلك يعود إلى دخول الحصر على الجملة التي استعملت حجة فحد من احتمالاتها الحجاجية ووجهها وجهة ايجابية أي وجهة تدعم النتيجة " لن تفتقر " و ما يجب الانتباه إليه هنا هو أن هذه الوجهةا لإيجابية في بنية "ما"–"إلا" بقطع النظر عن الاستعمال المقامي و هي لا تمس بالمحتوى القضوي للجملتين .فهما جملتان مختلفتان و إن اتفقا في المحتوى الخبري[1].

و في حالة استعمال عبارة الربط الحجاجي فإن دكرو يميز بين نوعين من المكونات اللغوي التي تحقق الوظيفة الحجاجية أما النوع الأول فهوما يربط بين الأقوال من عناصر نحوية مثل أدوات الإستئناف (الواو –الفاء – لكن – إذن) ويسميه روابط حجاجية و أما النوع الثاني فهو ما يكون داخل القول الواحد من عناصر تدخل على الاسناد مثل الحصر و النفي أو مكونات معجمية تحيل في الغالب إحالة غير مباشرة مثل "منذ" الظرفية و"تقريبا "، و "على الأقل " ويسميه عوامل حجاجية .

[1]ينظر :حمادي صمود : **أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم** ،عن شكري المبخوت ص376–377

تنوع الرابط الحجاجي وأمثلة عنه:

إذا كانت الوجهة الحجاجية محددة بالبنية اللغوية فإنها تبرز في مكونات متنوعة ومستويات مختلفة فبعض هذه المكونات يتعلق بمجموع الجملة أي هو عامل حجاجي في عبارة دكرو فيقيدها بعد أن يتم الاسناد فيها ومن هذا النوع نجد النفي و الاستثناء والشرط و الجزاء مما يغير قوة الجملة دون محتواها الخبري ذات خصائص معجمية محددة تتوزع في مواضع متنوعة من الجمل ومن هذه الوحدات المعجمية حروف الاستئناف بمختلف معانيها (بعض ،كل ،جميع) و ما اتصل بوظائف نحوية كحروف التعليل و هذه في تصور دكرو خليط من الروابط و العوامل الحجاجية تتعامل فيما بينها مما يتطلب أحيانا النظر في الوجوه و الفروق للوقوف على أيها أقوى حجاجيا أو ما يتولد عن تعاملها من فروق حجاجية[1].

و من هذه الأمثلة لبيان كيفية توجيه بعض المكونات اللغوية للقول حجاجيا فإذا جعلنا جمال الطقس حجة لالتماس الخروج فإننا نجد عدة صيغ مختلفة يتحقق بها هذا الربط .أ- الطقس جميل لنخرج

ب- أليس الطقس جميلا؟ فلنخرج

ج- بما أن الطقس جميل فلنخرج

ففي المثال (أ) الحجة فيه عارية من العوامل و الروابط ما عدا عمل الإثبات الذي يسوغ استخلاص النتيجة كما نلاحظ في بقية الأمثلة تتضمن في حجتها روابط تؤثر في صياغة الحجة و معناها.

[1] حمادي صمود: **أهم نظريات الحجاج الغربية من أرسطو إلى اليوم** ، المرجع نفسه ص 377

المثال (**ب**) استفهام داخل جملة منفية وهذا التعامل بين الاستفهام و النفي لإفادة التقرير بمعنى الاقرار بما يعرف و هو ما يجعله أقوى حجاجيا من (أ) بما أن المخاطب يمكن أن يرفض محتواه فينفيه و ينفى إطلاقا من النتيجة التي يجب استخلاصها[1].

أما في (ج) تبرز استناد الربط مع النتيجة إلى ما ينزل منزلة المتفق عليه بين المخاطبين إذ يعسر الربط ردا على التماس المخاطب بنفي الحجة .و المهم من هذا كله أن المعطيات اللغوية تمثل تعليمات توجه استخلاص النتيجة أي أنها تفرض ربطا معنيا بين الأقوال دون غيره .و قد قدم دكرو أمثلة أثارت اختلافات في تأويلها و تحديد وجهتها الحجاجية فقد ذكر منها:

-أ- لم يقرأ زيد أثار الجاحظ كلها

-ب- قرأ زيد بعض أثار الجاحظ

فمن المثالين يوجه دكرو نحو نتيجة ايجابية فيما يخص معرفة آثار الجاحظ في حين أن (أ) يوجهه سلبيا أي نحو الجهل بآثار الجاحظ.

و تبرز هاتان الوجهتان المختلفتان عند الربط مع النتيجة ففي المثال (أ) الربط غير مقبول لأن الحجة تناقض النتيجة على ما يوجد في (ب)[2].

مفهوم العامل الحجاجي :

هو أحد المؤشرات اللغوية التي تساعد في تثبيت الوظيفة الحجاجية للغة ، كما أن دكرو يتحدث عن نوعان من المؤشرات فهي تبرز بوضوح بأن الحجاج

[1] – حمادي صمود: **أهم نظريات الحجاج الغربية من أرسطو إلى اليوم** المرجع نفسه ص378

[2] المرجع نفسه 378

مسجل في بنية اللغة ، هذا النوع هو العوامل الحجاجية ، يقول دكرو :" و أما النوع الثاني ،فهو ما يكون داخل القول الواحد ، من عناصر تدخل على الإسناد مثل الحصر، النفي ،أو مكونات معجمية تحيل في الغالب إحالة غير مباشرة مثل :منذ الظرفية و تقريبا و على الأقل ، و يسميه عوامل حجاجية ".

وقد وضح ذكرو أن وجود العوامل هو القول الواحد عكس الروابط التي تقع بين مجموعة من الحجج و النتائج ، فالاختلاف بين العوامل و الروابط في كيفية الاشتغال كل منهما داخل الخطاب ، حيث تكون وظيفة العوامل في زيادة الطاقة الحجاجية فهي "لا تربط بين متغيرات أي بين حجة و نتيجة ، أو بين مجموعة حجج ، و لكنها تقوم بحصرو تقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما.

و تضم مقولة العوامل أدوات من قبيل ربما تقريبا ، كاد ، قليلا ، كثيرا ، ما ، إلا و كل أدوات القصر"[1]. و من خلال الأمثلة سنتطرق إلى فاعلية العوامل الحجاجية في تحديد و حصر التأويلات بخطاب ما.

-1- تقريبا انتهى المشروع .

-2- صل الصلاة المفروضة على الأقل .

-3- إنما الأمم الأخلاق .

فالعامل (تقريبا) في المثال الأول يقوم بتقليص عدد التأويلات ،لأنه لو نزعنا العامل نكون

[1] حمادي صمود ،**أهم نظريات الحجاج ، عن شكري المبخوت** ،ص377

مـام مجموعـة مـن التـأويلات مـن بينهـا المعـنى الإخبـاري مـثلا و هـو نهايـة المشـروع و إمـا أن يكـون على صـيغة سـؤال :انتهـى المشـروع ؟ يفهـم أن المشـروع قـد انتهـى بمعـنى توقـف لهـا توجـه الخطـاب بشـدة نحـو التأويـل القائـل بقـرب نهايـة المشـروع و في المثـال الثـاني حيـث جـاء العامـل الحجـاجي (علـى الأقـل) حيـث تتجلـى القيمـة في التخلـي عـن التـأويلات البعيـدة و الغـير محتملـة ، وقـد جـاء العامـل مرتبطـا بمحمـول واحـد و متعلقـا بفعـل الأمـر (صـل) فمنحـه قـوة حجاجيـة إضـافية ، و هـي التحضـيض علـى الصـلاة ،و التحضـيض هـو الطلـب بقـوة ،كمـا أن العامـل قـام بتقلـيص الاحتمـالات التأويليـة للخطـاب وقـد حصـر العامـل هـذه التـأويلات في نطـاق تأويـل واحـد وهـو أن المخاطـب مـن التـاركين لصـلاة الفريضـة ، فـلا نطالبـه بصلاة التطوع بل نحضه على الصلاة المكتوبة .

في المثـال الثالـث أهـم عامـل وهـو (إنمـا) مـن العوامـل الحجاجيـة ، تقـوم بقصـر و حصـر التـأويلات الممكنـة للخطـاب ، حيـث تـبرز معـه الوظيفـة الحجاجيـة بصـفة جليـة ، مـع دور هامشـي للوظيفـة الإخباريـة ،فهـي تؤكـد بطريقـة قويـة الحجـج الـتي تـأتي بعـدها ، و عملهـا يشـبه عمـل مـا و إلا حيـث يمكننـا القـول :مـا الأمـم إلا الأخـلاق أو إلا بأخلاقهـا ، وقـد قامـت إنما بوظيفتين في هذا التركيب فقد قامت بتوكيد بتقوية المعنى[1] .

[1]حمادي صمود ،**أهم نظريات الحجاج ، عن شكري المبخوت،ص380**

ومن هذه الأمثلة قد نستنتج أن العوامل و الروابط تقوم بعدة وظائف حجاجية داخل الخطاب وهي التي يقوم بتقوية و تأكيد المعنى من خلال عاملية التوكيد فيها .

وظيفة الروابط و العوامل الحجاجية :

1- الوظيفة الحجاجية للغة تظهر في أوضح صورها مع الوسمات اللغوية للروابط و العوامل الحجاجية ، لأن العوامل و الروابط الحجاجية هي المؤشر الأساسي و البارز ،و هي الدليل القاطع على أن للحجاج مؤشرا له في بنية اللغة نفسها .

2- القيمة الحجاجية للروابط تظهر من خلال تقويتها للحدث التوجيهي و ليس لمضمونها الإخباري ،" قرائن تعين على فهم المعنى الظاهر و الخفي ، كما أنها تعين على تحديد المعاني التي تنجزها ملفوظاتها ، و عليه فعندما يقول المخاطب جملة فإنه يسعى إلى إنجاز غرض استدلالي يعالجه ،في علاقته مع النتيجة التي يمكن أن تدور باعتبارها حديثا تحاوريا منعزلا "[1]. بمعنى أن هذه القرائن بمثابة منبع لفهم المعنى حتى ولو كان غير ظاهر .

-من أهم الوظائف العوامل الحجاجية بأنها توجه الحجاج وجهة معينة ،"اذا كانت الوجهة الحجاجية محددة بالبنية اللغوية ، فإنها تبرز في مكونات متنوعة و مستويات مختلفة من هذه البنية ، فبعض هذه المكونات يتعلق بمجموع الجملة ،أي هو عامل حجاجي في عبارة دكرو فيقيدها ، بعد أن يتم الاسناد فيها ، ومن

[1] رضوان الرقبي :**الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله** ،ص**104**

هـذا النـوع نجـد النفـي ، و الاسـتثناء و الشـرط والجـزاء ، و مـا إلى ذلـك ممـا يغـير قـوة الجملـة دون محتواهـا الخـبري "[1]، فـالرابط و العوامـل لا تحجـب المحتـوى الخـبري بـل تزيده بروزا ووضوحا .

4- يقـوم العامـل بتكثيـف المكونـات الحجاجيـة داخـل الخطـاب و لـه وظيفـة حجاجيـة يمنحهـا شـحنة إضـافية مـن خـلال إقصـاء تـأويلات لأنـه لايوجـد تواصـل بدون عامل حجاجي .

فالحجـاج فهـو الـرابط الـذي يظهـر القـوة الحجاجيـة أي يتموضـع بـين الحجـة و ضـد الحجة .

5- وظيفـة الـروابط الحجاجيـة تقـوم بعمليـة الـربط بـين فعلـين أو دلاليـين أو أكثـر أو بنيـة النتيجـة المقصـودة و الحجـج المؤديـة إليهـا ،فهـي تـؤدي دورا حجاجيـا للوحـدات الـتي تـربط فيمـا بينهـا ، و هـي تلعـب دورا مهمـا في الاتسـاق و الانسجام للخطاب .

المسار التاريخي للحجاج :

ظهـر الحجـاج عنـد السوفسـطائيين خـلال القـرن الخـامس قبـل المـيلاد بعـد انتقـال المجتمـع الأثيـني مـن مرحلـة الإقطـاعي إلى النظـام الـديموقراطي و اتسـم هـؤلاء باسـم المعلمـين فـاهتموا إلى حـد كبـير ببلاغـة القـول و متعلقاتـه حـتى اتخـذوها حرفـة يلقونهـا علـى أبنـاء الأعيـان[2]. وقـد دفعهـم هـذا التوجـه إلى التركيـز علـى الخطابـة ،فكـانو ا يعلمـون أبنـاء الأعيـان

[1] حمادي صمود : **أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ،عن شكري المبخوت ص377**

[2] ينظر :محمد سالم الأمين الطلبة ،**الحجاج في البلاغة المعاصرة ،دار الكتاب الجديد المتحدة** ،ط1،2008،ص25

آليات إنتاج الخطاب و ذلك مقابل مبالغ مالية حتى لا يدرك العامة تلك الآليات ،و بالتالي سهل إقناعهم ووقوعهم تحت سلطة القول أما لو أدركوا تلك الأساليب فإن إقناعهم يكون صعبا ،قال بروتاغورس :" أوافق على أني سوفسطائي ووظيفتي تعليم الناس "[1]. فكانوا يستعملون في عالب الأحيان سلطة القول في فضاءات السلطة بالمدينة و كل الطرق المؤدية إلى الإقناع دون احترام ضوابط الحوار.

و أخلاقياته .كما أنهم يستعينون بحجج (سفسطة)تكون مقبولة الظاهر و مزيفة في الباطن .

و تعتبر السفسطة بالنسبة إليهم نوع من الحجاج المغالط فقد عرفه أرسطو على أنه الاستدلال صحيح في الظاهر و معتل في الحقيقة ، و يؤسسون حججهم على الظن بدأ السوفسطائيون الحجاج انطلاقا من الجدل كان يعتبره السوفسطائيين فن الانتصار على الخصم باتقان طرق الخداع و القول المزيف كما أنهم كانوا يعتمدون على أساليب تضليلية صادقة و نتائجه تخدم المصالح الخاصة و يعتبر بروتاغوراس أعد أعلام هذا الفن ومن المساهمين في تطويره ، ويقال إنه " بقدرته أن يجعل الحجة الأسوأ تبدو كأنها الأحسن "[2].فتبين أن

[1] هشام الريفي :الحجاج عند أرسطو :ضمن **كتاب :أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم،إشراف :حمادي صمود ،منشورات كلية الآداب** ،ص60

[2] ينظر:روبير بلاشي :**المنطق وتاريخه من أرسطو حتى راسل ،تر"خليل أحمد خليل ،ديوان المطبوعات الجامعية** ، الجزائر المؤسسة الجامعية للدراسات ،ط2، لبنان ،2002، ص27

فن الجدل وضع من أجل بناء حجج و من خلالها يتم إقناع المتلقي و التأثير فيه .

فقد كان للسفسطائيين دور اساسي و كبير في ترقية الخطابة و بجعلها فنا قائما بذاته ، وهي فن الكلام يؤدي إلى الإقناع وهو فن مبني على الفصاحة و نقصد بها فصاحة الخطاب ، ويعد كوراس من الأوائل الذين صنعوا أجزاء الخطابة من خلال الكتيب الذي وضعه و ينص على مجموعة من الآليات التي تساعد على ترتيب الخطاب البلاغي بهدف السيطرة على لحظة الخطاب و بناء خطوات تستعين بها في بناء أي خطبة و هي الاستهلال ، و بالتالي هذا المصنف الذي وضعه كوراكس يلخص فيه دوافعه و يجمع فيه قوته ، من أجل أن يستعين به الكثير من الخطباء الذين يأتون من بعده في تعلمهم فن الخطابة [1].

هشام الريفي :الحجاج عند أرسطو :ضمن **كتاب :أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم،المرجع نفسه ،ص75.**

الفصل الثاني : لمحة عن خلفية الجاحظ

أولا : عصره

عاش الجاحظ حياته في العهد العباسي الأول و شطرا من العصر العباسي الثاني ، فقد عاصر من خلفاء بني العباس : الرشيد و الأمين و المأمون ، و المعتصم ، و الواثق و المتوكل و قد كان هذا العصر هو عصر الإسلام الذهبي ، حيث ثبتت قواعد الدولة العباسية على عهد الرشيد و ابنيه المأمون و المعتصم ، و أصبح لها شأن عظيم و سلطان مهيب ، و سياسة واضحة ، يغلب عليها طابع النظام و التدبير في كل الأمور .

ظهر في هذا العصر بعض الفتن التي كانت تطل برأسها بين الحين والآخر ، كالفتنة التي نشبت بين الأمين و أخيه المأمون على ولاية العهد و التي انتهت باستقلال المأمون بالخلافة و استقرار الأمور . غير أن الفتن التي ظهرت في أواخر الحقبة من تدخل العناصر غير العربية في السياسة و الحكم ،و خاصة الأتراك لم تظهر آثارها إلا بعد الجاحظ حتى أصبح الخلفاء ألعوبة في أيدي هؤلاء يولون من شاؤوا،و يخلعون من يعارضهم فاختل نظام الدولة بعد عهد الواثق بالله .

وانفتحت الدولة العباسية في هذه الحقبة على الدول الأخرى غير الإسلامية ، و كان بينها علائق ووثائق ، كما كان بين العباسيين و بين ملوك غربي أوروبا ، فقد كانت بينهما علاقات على غاية من الوثائق و الوئام .

وفي هذا العصر كانت هناك طبقات اجتماعية مختلفة ، و كانت الفروق بينها شاسعة من حيث الثراء و طرق المعيشة . و قد غرقت طبقة الخلفاء و أتباعه و أهل الثراء في الترف و النعيم ، فعقدوا مجالس للهو و السهر واحتفلوا بأعياد النصارى ، و كانت هذه الأعياد كثيرة ، كعيد الميلاد، و عيد الفصح ، وعيد الشعانين و غيرها[1].

حياة الجاحظ:

الجاحظ بصري المولد و النشأة و الوفاة ،ولد في البصرة و نشأ فيها و عاش ما عاش شديد التعلق بها و الحنين إليها .تقع حياة الجاحظ كما تقع حياة كثير من الشخصيات المعاصرة له من أهل البصرة ، في عهد بصري و عهد بغدادي .

في الأول استقبل الحياة ، وظل يستقبل معها الأسباب و العوامل لمختلفة التي تهيأت و هيأت شخصيته [2]، أي أن هذه العوامل و الأسباب كانت الدافع الحقيقي لبناء شخصيته من أجل الاعتماد على نفسه . كما أعدته لذلك العهد الآخر البغدادي، حيث أخذ مكانة في العالم العلمي و الأدبي ، و أخذت ملابسات الحياة فيه تستدر إنتاجه و تبرز مظاهر شخصيته .

1 د.فوزي السيّد عبد ربه: **المقاييس البلاغية عند الجاحظ ، مكتبة الأنجلو مصرية، مطبعة أبناء وهبه حسان** ،دط، 2005،ص14

[1].د. طه الحاجري : **الجاحظ حياته وآثاره ، دار المعارف بمصر ، مكتبة لسان العرب** ، دط، دت ، ص78

يعتبر العهد البصري عهد التحصيل ، أما العهد البغدادي فهو عهد الإنتاج . و ربما بدأ إنتاجه في العهد الأول ، لكن التحصيل هو السمة الغالبة عليه،و المظهر البارز فيه في العهد الثاني الذي كان فيه رجلا ناضجا مستكمل الشخصية موفور الوسائل الأدبية لأنه يجب أن يكون هناك تحصيل في الأول من أجل الإنتاج أي و كأن العهد الأول تمهيد للعهد الثاني .

اسمه و نسبه :

هو : عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي ، من بنى كنانة من خزيمة ، والد النضر أبي قريش . و بنو كنانة بطن من مضر يقال لهم : كنانة طلحة ، و الليثي نسبة إلى الليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ، و إلى هذه القبيلة ينتسب الجاحظ[1]. و قيل إنه مولى أبي القلمسي عمرو بن قلع الكناني ، ثم الفقيمي ، فهو كناني صليبة خالص النسب . و كان جده فزازة أسود اللون ،و كان جمالا لعمرو بن قلع ، و قد فطن ياقوت إلى ذلك[2] ، بينما زعم السمعاني أن هاتين الصفتين كانتا لجده المباشر " المحبوب "[3].

وهاتان الصفتان التي ذكرهما المؤرخين لجده جعلتا بعض الشك يحوم حول عربية الجاحظ ، فتهم بعضهم أنه عربي بالولاء لا بالنسب . فلو كان عربيا بالولاء لا بالنسب لما أغفل أعداؤه ذلك و لعيروه به ، هذا

[1] محمد كرد علي: **أمراء البيان ، لجنة التأليف والترجمة والنشر،ط1، 1355هـ، 1938م، ص313.**

[2] ياقوت الحموي: **معجم الأدباء ، دار المستشرق ،بيروت لبنان،** دط ، دت، ص74.

[3] السمعاني: **كتاب الأنساب ، ليدن ، دط ، دت** ،ص118

فضلا عن موقفه من العرب و دفاعه عنهم في كتبه ، خاصة البيان و التبيين ، فقد دافع عنهم ، وعن بيانهم وفصاحتهم ، و ما منحهم الله به من كريم الخصال دفاعا يبدو فيه التعصب الشديد لهم . فلو كان انتسابه إليهم بالولاء لا نضم إلى الشعوبين الذي وقفوا في وجه العرب يسلبونهم كل فضيلة ، و يثبتون لهم كل نقيصة ، أو على الأقل لم نجد هذه الاستماتة في الدفاع عنهم .

أما سواد اللون فلا يمكن أن يكون دليلا على الرق ؛ لأن كثيرا من العرب الخلص كانوا سودا و هم من أصل عربي عريق ، و أما قيام جده " فزارة " أو " المحبوب " على عمرو بن قلع فلا يقوى دليلا على ورقه .

كنيته و لقبه :

كنيته أبو عثمان . و كثيرا ما كان ينسى هذه الكنية ، فقد روى عنه قوله : "نسيت كنيتي ثلاث أيام ، حتى أتيت أهلي فقلت لهم بم أكنى ؟ فقالوا : بأبي عثمان[1].

أما لقبه الذي اشتهر به فهو الجاحظ ، و قد لقب به لنتوء عينيه و جحوظهما أي بروزهما و ليس في هذا ما يعيب أمير البيان العربي أو ينقص من قدره، فكثيرمن العظماء لم يكن لهم من جمال الخلقة نصيب ، فقد كان سقراط شيخ الفلاسفة أيضا جاحظ العينين ، أفطس الأنف مشوها و قد كان الجاحظ على جلالة قدره و سعة عقله يضيق

[1] ياقوت الحموي: **معجم الأدباء ، دار المستشرق ،بيروت لبنان**، دط ، دت، ص74.

بهذا اللقب و يغضب ممن يناديه به [1]، و يطلب ممن حوله أن يدعوه باسمه أو بكنيته ، وكان يطلق على اسمه " عمرو " الاسم المظلوم و يبدو ن سبب ضيقه وتبرمه بهذا اللقب هو أن من أطلقه عليه هم أعداؤه و مناهضوه ، و أنهم كانوا يتعمدون ذلك ؛ تذكيرا بتشويه خلقه و رغبة في مضايقته . و كما لقب أيضا بالحدقى للسبب نفسه [2]، إلا أن لقب " الجاحظ" غلب عليه و اشتهر به .

مولده :

ليس هناك خلاف بين المؤرخين على أت أب عثمان ولد في البصرة ، و إنما الخلاف في زمن ولادته ، و تحديد هذاالزمن ، فمن قال إنه ولد عام 159هـ ومن قال غير ذلك[3]. و كن الصحيح ما أقر هو به ورواه ياقوت في معجمه .

ولعل الذي أوقع المؤرخين في هذا الخلاف هو أنه ولد في بيئة مغمورة فلا عجب أن تذهب سنة مولده في تلك الغمرات التي كانت تحيط بها .

وعند محبوب هذا وقف كتاب التراجم ومحرر والأنساب لم يعده منهم أحد . و ربما قد اكتفى بعضهم باسمه واسم أبيه كما صنع المرتضى[4] . وانفرد ياقوت[5] – بذكرجد بعيد له اسمه فزارة ، فال إنه كان أسود ، و أنه كان جمالا لعمرو بن قلع الكنائي . و قد أسند السمعاني

[1] أحمد خلكان :**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مكتبة النهضة المصري**ة ،ط3، 1948م ،ص 140.

[2].السمعاني: **كتاب الأنساب ، ليدن ، دط ، دت ،ص118**

[3]ياقوت الحموي: معجم الأدباء ، دار المستشرق ،بيروت لبنان، دط ، دت، ص74.

[4]ينظر: المرتضى : المنبه و الأمل ،مكتبة النهضة ، دط ، دت ، ص38.

هـذا الوصـف إلى محبـوب نفسـه جـد الجـاحظ الأول ، و هـذا منغـير شـك خطـأ ظـاهر و غفلـة بينـة . فقـد قـالوا – و قـال السـمعاني أيضـا – إن عمـرو بـن قلـع . هـذا كـان أحـد النسـاة ، أي أنـه كـان قبـل ابطـال النسـئ في السنة التاسعة للهجرة .

و ظـاهر أنـه مـن غـير المحتمـل أن يـدرك جـد الجـاحظ الأول ذلـك العهـد البعيـد . وأصـل القـول في هـذا يرجـع إلى روايـة رواهـا أبـو بكـر البغـدادي عـن يمـوت بـن المـزرع المحـدث (ابـن أخـت الجـاحظ أو ابـن أختـه علـى خـلاف في ذلـك) ، فقـد ذكـر عنـه "أن الجـاحظ عمـرو بـن بحـر بـن محبـوب مـولى أبي القلمـس عمـرو بـن قلـع الكنـائي ثم الفقيمـي ، و هـو أحـد النسـاة و كـان جـد الجـاحظ أسـود ، و كـان جمـالا لعمـرو ابـن قلـع ". ذلـك هـو نـص يمـوت بن المزرع.

نشأته :

ولـد الجـاحظ في البصـرة لأسـرة فقـيرة معدمـة ، تعـيش في ضـنك مـن العـيش ، و تكـد و تجتهـد في سـبيل الحصـول علـى لقمـة العـيش، و تـوفي والـده و هـو طفـل صـغير ، فكفلتـه أمـه الـتي لا تملـك شـيئا ، فلـم يجـد الطفـل مـن تحمـل أعبـاء الحيـاة منـذ نعومـة أظـافره ، فأخـذ يعمـل ويكـد في سـبيل الحصـول علـى مـا يسـد الرمـق ، و لم يجـد أمامـه عمـلا إلا أن يبيـع الخبـز و السمك في إحدى جهات البصرة، كما يروي ذلك ياقوت[1].

[1] ياقوت الحموي: **معجم الأدباء ، دار المستشرق ،بيروت لبنان، دط ، دت**، ج16، ص94.

و كان الصبي الفقير يعيش في بيئة تفيض بالثراء ، و الناس من حوله يعيشون في ترف و نعيم ، ووجد الصبي نفسه في هذه البيئة فقيرا مشوه الخلقة ، خامل الذكر ، تقتحمه أعين الناس لقبحه و دمامته و فقره و أحس كل هذا إحساسا قويا . وهذا الإحساس كان كافيا في إرهاف حسه ، و شحذ مشاعره ، وتنبه مداركه ، فأخذ يبحث عن وسيلة تعوضه هذا النقص .

ولم يكن فقره حائلا عن تحقيق هذه الرغبة ، فتعلم الخط والقراءة مع أقرانه من الصبيان ، و شيئا من الفقه و الحساب ، وحفظ القرآن الكريم و الأشعار .

وأدرك الصبي في نفسه حماسا و طموحا في سبيل العلم ، فقد كان شديد الذكاء مفتوح المشاعر، و قد أتيح له شيخان من الفضلاء ألهبا فيه هذا الحماس و الإقبال على العلم ، هما **الشيخ أبو الوزير ، و أبو عدنان** ، و قد أشار إليهما الجاحظ في كتابه " الحيوان " في قوله : " و ما كان عندنا بالبصرة رجلان أدرى بصنوف العلم ، و لا أحسن بيانا من أبي الوزير و أبي عدنان من المعلمين و حالهما من أول ما أذكر من أيام الصباء "[1] .

وقد كان الجو العلمي الذي شهدته البصرة في هذه الفترة يغري على سلوك طريق العلم و فضلا عن هذا فقد كان العلم والأدب

[1] الجاحظ :الحيوان ،تح :**الشامي ،دار ومكتبة والهلال ،بيروت ،دط، 2003، ج1**، ص170.

و النبوغ في هذا السبيل شيئا يرفع صاحبه ،و يضعه في المرتبة العالمية . فوزع الفتى جهده بين طلب العيش و طلب العلم .

مضى الفتى إلى مساجد البصرة يتردد عليها ، ويستمع إلى حلقات العلماء التي تنوعت في كل علم وكل فن ، وكان أبرزها حلقات المتكلمين التي ازدادت واتسعت و كثر نشاطها فكانت تعرض المسائل، و تبحثها بحثا متشبعا معقدا وقد استفاد من كل.

هذه الحلقات و ما دار فيها من مناقشات و مباحثات و مناظرات ووعيها وعيا كاملا ؛ خاصة ما يتصل بمسائل الكلام و العقيد ، ومن خلال هذه الحلقات تعرف بعظماء في الدين و العلم والآداب من أجلاء الأساتذة في ذلك العصر ، وتأثر في دراساته الأدبية برجال العلم و الأدب الذين عرفوا بالمسجديين.

وقد صور الجاحظ حلقة من هذه الحلقات في حديثه عن موسى الأسوارى ، فيقول :" كان من أعاجيب الدنيا ، وكانت فصاحته بالفارسية في وزن الفصاحة بالعربية ، و كان يجلس في مجلسه المشهور به فيقعد العرب عن يمينه و الفرس عن يساره، فيقرأ الآيه من كتاب الله و يفسرها للعرب بالعربية ، ثم يحول وجهه إلى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية "[1].

[1] الجاحظ: البيان و التبيين ، **تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي** ، القاهرة،ط1، 1991م ،ص196.

وكان يتلقى الفصاحة شفاها بالمربد ، و كان المربد أشهر أسواق البصرة وبه كانت في الإسلام مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء ، على مثال سوق عكاظ في الجاهلية .

كان شديد الفهم في طور التحصيل و الدرس ، تقوده نفس تواقة إلى التزود بكل ضروب المعرفة ، فلم يكتف بالمساجد وحلقاتها،و المربد و التردد عليه ؛ و لكنه عكف على كل ما وقع في يده من كتب ، دون التفريق بين علم وآخر ، بل إنه يستأجر دكاكين الوراقين يبيت فيها و يقرأ من الكتب بما شاء ، فأتقن معظم علوم عصره ، حتى قال عنه أبو العيناء حين سئل : أي شيء كان الجاحظ يحسن ؟ فقال : " ليث شعري ، أي شيء كان الجاحظ لا يحسن "[1] .

ولما جاوز الخمسين من عمره رأى أن يترك البصرة ويرحل إلى بغداد حضارة الدولة العباسية في دلك العصر . فدخلها و اتخذها مقاما له ، و كان ذلك في عام 204هـ في عهد الخليفة المأمون ، و ما استقر بها حتى تصدر للتعليم و المناظرة، فقصد العلماء و الأدباء ، و أقبل عليه طلاب العلم من كل صوب وحدب .

وبدأ في الصعود منذ أن اتصل بابن الزيات وزير المعتصم والاثق في عام 220هـ ، و نبه صيته ، وطبق الآفاق ، فرعاه الوزير ، وأضحى من أكبر رجال العلم ، و كفاه الوزير مؤونة كل شيء ، وطلب الوزراء

[1] الجاحظ :الحيوان ،**تح :الشامي ،دار ومكتبة والهلال ،بيروت** ،دط، 2003، ج1، ص20

صداقته ، وخطب وده الكبراء ، ونالت كتبه من الخلفاء و الأمراء ما لم تحظ به كتب عالم آخر .

وبعد كل هذا الكفاح المستميت في طلب العلم و تحصيله استطاع الجاحظ أن يحقق لنفسه ما أراد ،و أن يصل للهدف الذي طمح إليه وأصبح اسمه لامعا في و أصبحت له مكانة مرموقة في كل مكان الإرادة و الطموح هما التي توصلان صاحبها إلى المكانة و الشهرة[1].

مذهبه الاعتقادي :

كان الجاحظ منذ بداية عهده في الدرس و التحصيل يطالع كثيرا من كتب الفلاسفة ، و كان أكثر ميله إلى الفلاسفة الطبيعيين، فكان يروج لهم ، و يخلط عباراته بعباراتهم .

وقد شغف بالاعتزال، و مضى يلازم أساتذته ، و يستوعب كل ما عندهم ،وصلة المعتزلة بالفلسفة معروفة ، فكان كلما اشتهر معتزلي لزم حلقته ، و كان من أشهر النظام ، الذي دفع الجاحظ دفعا للتزود من مذهبه الاعتزالي المعروف ب " النظامية " فاعتنق مذهب أستاذه ، و كان يديم النظر فيه ، و هداه طول تفكيره في آراء أساتذة الاعتزالية و غيره من أساتذة الاعتزال إلى أن يعتنق مجموعة من الآراء ، و أن يضيف إلى طريقة أستاذة النظام ، بحيث أصبح له مذهبا مستقلا و طريقة خاصة في الاعتزال ، عرفت ب " الجاحظية " ؛ و كان لها أتباعه وأشياعها وأما

[1] الجاحظ :الحيوان ،**تح :الشامي ،دار ومكتبة والهلال ،بيروت، المصدر نفسه، ص21.**

باقي قواعد الاعتزال و أصوله فلم يخالف في شيء منها ، وبهذا كان الجاحظ إماما من أئمة المعتزلة ، و صاحب طريقة فيهم[1].

وفاته :

ظل الجاحظ مكبا على العلم و التأليف ، ينتقل في سبيل ذلك بين بغداد و البصرة إلا أن أدركته الشيخوخة ، و أصيب بالفالج . و لما اشتدت علته استقر بالبصرة مسقط رأسه فأقام بها البقية الباقية من عمره ، إلا أنه لم يعف نفسه من الكتابة والتأليف ، فأخذ ينتج و يبدع ، ثم زادت عليه العلة ، فأصيب بالنقرس أيضا . و قد صور المبرد هذه الحالة التي وصل إليها الجاحظ في قوله :"دخلت على الجاحظ في آخر أيامه و هو عليل، فقلت له : كيف حالك ؟ فقال : كيف يكون من نصفه مفلوج ، لو نشر بالمناشير ما حس به و تصفه الآخر منقرس لو طار الذباب بقربه لآلمه ، و الآفة في جميع هذا إني قد جزت التسعين.

وقد أتى رسول المتوكل إليه ، و هو في هذه الحالة يطلبه ، فقال له و ما يصنع أمير المؤمنين بضق مائل ، و لعاب سائل ؟ ثم أقبل علينا فقال : ما تقولون في رجل له شقان : أحدهما لو غرس بالمسال ما أحس و الشق الآخر يمر به الذباب فيغوث. وكان يطلي نصفه الأيمن بالصندل و الكافور لشدة حرارته.

[1] د.فوزي السيّد عبد ربه: **المقاييس البلاغية عند الجاحظ ، مكتبة الأنجلو مصرية، مطبعة أبناء وهبه حسان** ،دط، 2005،ص20

و ظل على هذا الحال من المرض و الألم حتى وقعت عليه مجلدات الكتب التي اعتاد أن يضعها حوله قائمة كالحائط ، فمات في المحراب الذي أحبه و بحر فيه طول حياته[1]. وكانت وفاته في شهر محرم سنة خمس و خمسين و مائتين من الهجرة بالبصرة، و قد نيف على تسعين سنة.[2] عليه سحائب الرحمة و الرضوان .

مؤلفات الجاحظ :

منح الله الجاحظ قدرة نادرة و صبرا عجيبا على الإبداع و الابتكار و التأليف في شتى العلوم و الفنون التي عرفت في عصره و قبل عصره ، فخلف ثروة ضخمة من الكتب و الرسائل ازدادت بها المكتبة العربية ، و أضحت غذاء رويا للعقل و الفكر و الوجدان .

فالجاحظ بعد أن نضج عقله و استوي فكره أقبل على التأليف و التصنيف يشكل عجيب و لعل هذا راجع كما أشرنا من قبل إلى رأيه في الكتاب و أنه خير معلم، فالكتاب- كما يقول - قد يفضل صاحبه و يتقدم مؤلفه ، و يرجع قلمه على لسانه ، فهو يقرأ في كل مكان ويظهر ما فيه على كل لسان و يوجد في كل زمان ،على تفاوت ما بين الأعمار ، و تباعد نابين الأمصار ، و ذلك أمر يستحيل في واضع الكتاب[3] .

---

[1] ياقوت الحموي: **معجم الأدباء ، دار المستشرق ،بيروت لبنان، دط ، دت،ج1**،ص325.

[2]ياقوت الحموي: **معجم الأدباء ، دار المستشرق ،بيروت لبنان، دط ، دت،ج1**،ص325.

[3]الجاحظ :الحيوان ،**تح :الشامي ،دار ومكتبة والهلال ،بيروت ،دط، 2003، ج1**، ص85.

و قد كان يحس المتعة و اللذة و هو يعكف على تأليف كتاب أو إخراج مصنف ، حتى نرى هذه المتعة و تلك اللذة تنسيانه ما يكابده في سبيل ذلك ، أو ما يعانيه من العلل و الأمراض التي لازمته دهرا طويلا من حياته . فيقول في كتابه (الحيوان):" و قد صادف هذا الكتاب مني حالا تمنع من بلوغ الإرادة فيه . أول ذلك : العلة الشديدة و الثانية : قلة الأعوان ، و الثالثة : طول الكتاب ، و الرابعة: أني لو تكلفت كتابا في طوله و عدد ألفاظه و معانيه ، ثم كان من كتب العرض و الجوهر ، و الصفرة و التوليد ، و المداخلة و الغرائز لكان أسهل و أقصر أياما و أسرع فراغا ؛ لأني كنت لا أفزع فيه إلى تلفظ الأشعار و تتبع الأمثال ، و استخراج الآية من القرآن ، و الحجج من الرواية ، مع تفرق هذه الأمور في الكتب[1].

و شغفه بالتأليف و عكوفه عليه جعله يخبر هذه الصناعة خبرة عميقة أصبح فيها أستاذا و معلما ، فقد وجد المؤلفين و المصنفين في كل العلوم و الميادين بتوجيهات سديدة ؛ لتخرج كتبهم على الصورة التي يرضى عمها القارئ ،و يستمتع بما فيها من علم وأدب ، فيقول :"ينبغي لمن كتب كتابا ألا يكتبه إلا على أن الناس كلهم لع أعداء ، و كلهم عالم بالأمور ، و كلهم متفرغ له ، ثم لا يرضى بذلك حتى يدع كتابه غفلا ، و لا يرضى بالرأي الفطير ، فإن لابتداء الكتاب فتنة و عجبا فإذا سكنت الطبيعة و هدأت الحركة فيتوقف عند فصوله توقف من

[1] الجاحظ :الحيوان ،**تح :الشامي ،دار ومكتبة والهلال** ،نفس المصدر السابق ، ص70

يكون وزن طعمه في السلامة أنقص من وزن خوفه من العيب ، و ليعلم أن صاحب القلم يعتريه ما يعترى المؤدب عند ضربه و عقابه ، فما أكثر من يعزم على خمسة أسواط فيضرب مائة ؛ لأنه ابتداء الضرب و هو ساكن الطبع ، فأراه السكون أن الصواب في الإقلال ، فلما ضرب تحرك دمه فأشاع فيه الحرارة فزاد في غضبه ، فأراه الغضب أن الرأى في الإكثار وكذلك صاحب القلم .

و بهذه الدقة ، و الفهم العميق ، و الوعي الكامل لصناعة التأليف أخرج الجاحظ كتبه ، التي شبعت موادها و تنوعت موضوعاتها و مسائلها ، بحيث يجد القارئنفسه ينتقل من فن إلى فن و من واد إلى واد ، فنراه ينقل عن أرقى الطبقاتوأدناها . و بينما يروى كلام العقلاء و مذاهب الحكماء يروى من كلام الصبيان و المجرمين الأعراب ، و نوادر كثيرة من كلام المجانين و أهل المرة من المرسوسين ، و من كلام أهل الغفلة ، و أصحاب التكلف من الحمقى ، و يجعل بعضها في باب الهزل و الفكاهة[1].

و الجاحظ فيما كتب و ألف لم يكتب إلا عن رغبة و اقتناع و كثيرا ما كان يذكر الباعث الذي حمله على تأليف كتبه ، فنراه في مقدمة (البخلاء) يذكر الدافع إلى تأليفه فيقول :" ذكرت – حفظك الله – إنك قرأت كتابي في تصنيف حيل لصوص النهار ، و في تفصيل

[1] الجاحظ: **البخلاء ، دار صادر بيروت ، دط، دت، ص11**

حيل سراق الليل ، و أنك سددت به كل خلل، و حصنت به كل عورة ، و تقدمت بما أفادك من لطائف الخدع ، و نبهك عليه من غرائب الحيل ، فيما عسى ألا يبلغه كيد ، لا يحوزه فكر ، و ذلك أن موقع نفعه عظيم ، و أن التقدم في درسه واجب ، و قلت اذكر لي نوادر البخلاء الأشحاء ،و ما يجوز من ذلك في باب الهزل و ما يجوز في باب الجد لأجعل الهزل مستراحا ، و الراحة جمالا ، فإن للجد كدا يمنع من معاودته ، و لا بد لمن التمس نفعه من مراجعته كما كتب أبو عثمان كثيرا من كتبه استجابة لرغبة أصدقائه و أساتذته ، ومن أساتذته ثمامة بن أشرس الذي كانت له اليد الطولى في تألق نجم الجاحظ ، و اتصاله بالخلافة العباسية ، بيد أن الجاحظ شديد الإعجاب به ، كثير النقل عنه إلى درجة أن وصفه بما وصف ثمامة جعفر بن يحيى ، حيث قال : و هذه الصفات التي ذكرها ثمامة بن أشرس ، فوصف بها جعفر بن يحيى كا ن ثمامة بن أشرس قد انتظمها لنفسه ، واستولى عليها دون الجميع أهل عصره ،و ما علمت أنه كان في زمانه قروي و لا بلدي كان بلغ من حسن الإفهام مع قلة عدد الحروف ، و لا من سهولة المخرج مع السلامة من التكلف ، ما كان بلغه ، و كان لفظه في وزن إشارته ومعناه في طبقة لفظه ، و لم يكن لفظه إلى سمعك بأسرع من معناه إلى قلبك[1].

[1] الجاحظ : **البخلاء ، دار صادر بيروت ،دط ، دت** ، ص11

كما نرى في كتابه (القحطانية و العديانية) ، الذي كتبه لأبي ثمامة بن أشرس أستاذه في الحديث – فقد قال فيه :" و قد كتبت – مد الله في عمرك – كتبا في مفاخرة قحطان ، و في تفضيل عدنان ، وفي رد الموالى إلى مكانهم في الفضل و النقص ، و إلى قدر ما جعل الله لهم بالعرب من الشرف ، و أرجو أن يكون عدلا بينهم ، وداعية إلى صلاحهم ، و منبهة عليهم و لهم ، و قد أردت أن أرسل بالجزء الأول إليك ، ثم رأيت ألا يكون إلا بعد استئذانك و استثمارك ، و الانتهاء في ذلك إلى رغبتك ، فرأيك فيه موفق إن شاء الله- عز وجل – وبه الثقة "[1].

و بهذا الصبر العجيب،و تلك الروح الوثابة،و ذلك الوعي الكامل لصناعة التأليف أخرج الجاحظ زهاء ثلاثمائة وستين مؤلفا في شتى ألوان المعرفة [2] و هذا كم هائل يشهد ببراعته و عبقريته ، حتة قال عنه المسعودى . " لا يعلم أحد من الرواة و أهل العلم أكثر كتبا منه.

و قد رأى سبط ابن الجوزى (ت 654هـ) معظم هذه المؤلفات في مشهد الإمام أبي حنيفة النعمان ببغداد [3].

[1] ينظر:الجاحظ : **البيان و التبيين ، تح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي** ، القاهرة ، ط1، 1998،ص107

[2] **المرجع نفسه ، ص111**

[3] اليافعي : **مرآة الزمان و عبر اليقطان ، مصورة بدار الكتب المصرية ،المجلد الثالث** ، ج10 ص85

وقد ضاع معظم هذه النفائس ضمن ما ضاع من تراثنا العلمي الأدبي ،و لم يبق من هذه الكتب إلا القليل ، و هذا القليل الذي لم تمتد إليه يد الزمان العابثة كاف في إبراز عقلية الجاحظ في التأليف ، و منهجه في كتبه الأخرى .

ويبدو أن الجاحظ كان يقدر هذا ، و يدرك ما تفعله الأيام و أيدي العابثين بمؤلفات المؤلفين و نفائسهم ، فأثبت في صدر كتابه (الحيوان) أسماء كتبه كالفهرست.

و لكن يبدو أن الفهرست الذي وضعه لم يكن على سبيل الإحصاء الدقيق لهذه الكتب ، و إنما كان على سبيل التذكير بأهمها و أشهرها ، فقد ذكرت كتب التراجم كثيرا من الكتب التي لم يرد ذكرها في صدر كتابه[1] .

و الوقوف على إحصاء دقيق لهذه المؤلفات أمر عسير ،فما ذكره ياقوت في معجمه من هذه المؤلفات ، فقد وصل عددها مائة و ثمانية و عشرون مصنفا ، مابين كتاب و رسالة .

يقول ياقوت : " و هذا فهرست كتب الجاحظ ، كتاب الحيوان و هو سبعة أجزاء، و أضاف إليه كتابا آخر سماه كتاب النساء و هو الفرق بين الذكر و الأنثى ، و كتابا آخر سماه : كتاب النعل ، و قد أضيف إليه كتاب سماه الإبل ليس من كلام الجاحظ و لا يقاربه

[1] الحافظ بن حجر : **لسان الميزان ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت** ، ط4 ،1390هـ-1971م ، ص385

و كتاب البيان و التبيين و كتاب الزرع و النخل و كتاب النبى و المتنبئ و كتاب المعرفة ، كتاب جوابا.

المعرفة ، كتاب مسائل كتاب المعرفة ، كتاب الرد على أصحاب الإلهام ، كتاب نظم القرآن كتاب مسائل القرآن ، كتاب فضيلة المعتزلة كتاب الرد على المشبهة كتاب الإمامة على مذهب الشيعة ، كتاب حكاية قول أصناف الزيدية ، كتاب العثمانية ، كتاب الأخبار و كيف تصح، كتاب الرد على النصارى ، كتاب عصام المريد ، كتاب الرد على العثمانية ، كتاب إمامة معاوية ، كتاب إمامة بني العباس ، كتاب الفتيان كتاب القواد ،كتاب اللصوص ، كتاب ذكر ما بين الزيدية و الرافضة كتاب صياغة الكلام ، كتاب المخاطبات في التوحيد ، كتاب تصويب في تحكيم الحكمين ، كتاب وجوب الإمامة كتاب الأصنام ، كتاب الوكلاء و الموكلين ، كتاب الشارب و المشروب ، كتاب افتخار الشتاء و الصيف، كتاب المعلمين ، كتاب الجوارى ، كتاب نوادر الحسن كتاب البخلاء، و كتاب الفخر ما بين عبد شمس و مخزوم ، كتاب العرجان و البرصان كتاب فخر القحطانية و العدنانية ، كتاب التربيع والتدوير كتاب الطفلين كتاب أخلاق الملوك كتاب الفتيا ، كتاب مناقب جند الخلافة و فضائل الأتراك كتاب الحاسد و المحسود كتاب الرد على اليهود كتاب الصرحاء والهجناء كتاب السودان و البيضان كتاب المعاد و المعاش ، كتاب النساء كتاب التسوية بين العرب و العجم كتاب السلطان .

و أخـــلاق أهلـــه ، كتـــاب الوعيـــد، كتـــاب البلـــدان ، كتـــاب الأخبـــار كتـــاب الدلالـــة علـــى أن الإمامـــة فـــرض، كتـــاب الاســـتطاعة و خلـــق الأفعـــال كتاب المقينين و الغناء [1].

و الصـــنعة ، كتـــاب الهـــدايا ، كتـــاب الإخـــوان ، كتـــاب الـــرد علـــى مـــن ألحـــد في كتـــاب الله عـــز وجـــل ، كتـــاب آي القـــرآن ، كتـــاب الناشـــئ و المتلاشـــى ، كتـــاب حـــانوت عطـــار ، كتـــاب التمثيـــل، كتـــاب فصـــل العلـــم كتـــاب المـــزاح و الجـــد ، كتـــاب جمهـــرة الملـــوك ، كتـــاب الصـــوالجة كتـــاب ذم الزنـــا ، كتـــاب التفكـــير و الاعتبـــار ، كتـــاب الحجـــر و النبـــوة ، كتـــاب آل ابـــراهيم بـــن المـــدبر ، كتـــاب إحالـــة القـــدرة علـــى الظلـــم ، كتـــاب أمهـــات الأولاد ، كتـــاب الاعتـــزال و فضـــله عـــن الفضـــيلة ، كتـــاب الأخطـــار و المراتـــب و الصـــناعات ، كتـــاب أحدوثـــة العـــالم ،كتـــاب الـــرد علـــى مـــن زعـــم أن الإنســـان جـــزءا لا يتجـــزأ ، كتـــاب أبي الـــنجم و جوابـــه ، كتـــاب التفـــاح كتاب الأنس و السلوة ، كتاب الكبر.

المستحســـن و المســـتقبح ، كتـــاب نقـــض الطـــب ، كتـــاب الحـــزم و العـــزم كتـــاب عناصـــر الآداب ، كتـــاب تحصـــين الأمـــوال ، كتـــاب الأمثـــال كتـــاب فضـــل الفـــرس ، كتـــاب الهمـــلاج كتـــاب الرســـالة إلى أبي الفـــرج بـــن نجـــاح في امتحـــان عقـــول الأوليـــاء، كتـــاب رســـالة إلى أبي الـــنجم في الخـــراج كتـــاب رســـالته في القلـــم ، كتـــاب رســـالته في فضـــل اتخـــاذ الكتـــب ، كتـــاب

[1] فوزي السيد عبد ربه : **المقاييس البلاغية عند الجاحظ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعة أبناء وهبه حسان** ،دط، 2005، ص 36

رسالته في كتمان السر ، كتاب رسالته في مدح النبيذ ، كتاب رسالته في ذم النبيذ ، كتاب رسالته في العفو و الصفح ، كتاب رسالته في اثم السكر ، كتاب رسالته في الأمل و المأمول ، كتاب رسالته في الحيلة كتاب رسالته في ذم الكتاب ، كتاب رسالته في مدح الكتاب ، كتاب رسالته في مدح الوراق ، كتاب رسالته في ذم الوراق ، كتاب رسالته في فيمن يسمى من الشعراء عمرا ، كتاب رسالته اليتيمة ، كتاب رسالته فرط جهل يعقوب ابن اسحاق الكندي، كتاب رسالة في الكرم إلى أبي الفرج بن نجاح ، كتاب رسالته في موت أبي حرب الصفار البصري كتاب رسالته في الميراث ، كتاب رسالته في الأسد و الذئب ، كتاب رسالته في كتاب الكيمياء ، كتاب الاستبداد و المشاورة في الحرب ، كتاب رسالته في القضاة والولاة ، كتاب الملوك والأمم السالفة والباقية ، كتاب رسالته في الرد على القولية كتاب العالم و الجاهل ، كتاب النرد و الشطرنج كتاب غش الصناعات ، كتابة خصومة الحول و العور ، كتاب ذوى العاهات ، كتاب المغنيين ، كتاب أخلاق الشطار. وبعد سرد هذه المؤلفات كما رواها ياقوت ندرك مدى تنوعها و اختلاف موضوعاتها من خلال أسمائها . و هذه الكتب على كثرتها و تنوعها كانت موضع اهتمام الخلفاء و الوزراء و العلماء و تقديرهم.

النزعة الكلامية :

تبيّن أنّ التواصل الفكري بين الجاحظ و الثقافات الأخرى كاليونانية و الفارسية قد جاء عن طريقين :طريق المشافهة والتشاقف الاجتماعي بين العرب وهذه الشعوب ، وطريق الترجمة ،إذ أصبحت الفئة المثقفة من المسلمين تقرأ ما ترجم من كتب اليونان في الفلسفة و المنطق و الخطابة ،وغير ذلك فنتج عن ذلك تأثر فئة منهم بالفلسفة و المنطق اليوناني " وراحت تفكر في قضاياها الدينية من زاوية جديدة"[1]. و ذلك أن الفلسفة و المنطق قد زوّدهم بحجج قوية فعالة نشأ عنها علم الكلام أو فن التعليل الأسلوبي الذي وظف في خدمة أسرار الدين[2] . و القضايا المختلفة فيها ،إثباتا ونفيا وأشهر من اتخذ الكلام منهجا في التأثير و الإقناع هم المعتزلة الذين دافعوا عن الإسلام ،وتصدوا للمتكلمين من أصحاب الملل و النحل الأخرى، كما دافعوا عن عقيدة الاعتزال بكل ما أتوا من حجة و بيان، لهذا نجد الجاحظ يقول فيهم :"لولا مكان المتكلمين، لهلكت العوام من جمعية الأمم ،ولولا المعتزلة لهلكت العوام من جميع النّحل"[3]ولهذا كثير ما يمتدح الجاحظ المتكلمين لأنهم يعنون بصناعة الكلام ،ويعرف الحق من الباطل ولا أدل على ذلك من قول فيهم" وهذا جواب المتكلمين ،جامعا لأقطار الكلام، متمكنا

[1] ينظر: جبر جميل: **الجاحظ في حياته و أدبه وفكره، الشركة العالمية للكتاب ،بيروت** ، ط4، دت ، ص83.

[2] نفس المصدر السابق: ص89.

[3] ينظر : **الجاحظ : الحيوان ، تح : يحيى الشامي ، دار ومكتبته و الهلال ، بيروت** ، 2003،ج3،ص75

في الصناعة ، يصلح للرياسة حتى يكون الذي يحسن من كلام الدين في وزن الذي يحسن من كلام الفلسفة ، و العالم عندنا (المعتزلة) هو يجمعهما"[1].

إذن فالعالم عند المعتزلة هو الذي يحسن من كلام الدين بقدر ما يحسن من كلام الفلسفة، لأن الفلسفة تزود العالم بجهاز مفهومي يكون به قادرا على التحليل والتعليل و الفهم الصحيح ، ومن هنا نجد الجاحظ يكرر دائما بأن المعتزلي الحق هو الذي يجمع بين علم الكلام و علم الدين، فهما معا يشكلان عقيدة المعتزلة. التي تقوم على النظر والعقل ولا تكن أبدا للقيل والقال بدون حجة ودليل.

لهذا فإن الجاحظ كثيرا ما ينتقد الذين يعترضون عليه في ما يكتب ويستدل؛ يرجع ذلك الاعتراض إلى عدم علمهم بالكلام لأن "أعلم الناس باللغة لن ينفعك في باب الدين حتى يكون عالما بالكلام ".أي أنه يجب أن يكون عالما بالكلام من أجل أن ينفعك في باب الدين ،ويعد الجاحظ من أشهر من مثل عقيدة الاعتزال وتشرب أصولها وتلتزم مبادئها نافح عنها في المحافل و المكتوباته، حتى طغى على نثره الطابع الجدلي و التصرف في وجوه الكلام ،وتفتيق المعاني،" وبرزت النزعة العقلية التي تقارن وتقيس وتستنبط . واكتسى أدبه بالتحاسين المنطقية "[2]. وهذا ما دفع الجاحظ لأن يهتم بالبلاغة بوجوهها النظري و التطبيقي و ما عليك

[1] نفس **المصدر السابق: الحيوان ، ج2، ص266**..

[2] بلقاسم الغالي : **الجانب الاعتزالي عند الجاحظ ، دار ابن حزم ، بيروت** ، ط1، 1999م، ص99.

إلا أن تمعن النظر قليلا في كتابه (البيان والتبيين) و (الحيوان) ؛ لتتبدى لك مزاعمنا في أن الجاحظ اهتم بالبلاغة من منظور عقيدي بوصفها وسيلة إبلاغ وفهم الإفهام ، وبوصفها سياسة القول التي يمرر من خلالها المبدأ و المعتقد ؛ للاستحواذ على ذوي الألباب فضلا عن ذوي العقول البسيطة ، ومن ثم كسب الجماهير و الموردين وزيادة الأتباع والمدافعين .

وقد نجح الجاحظ في ذلك لأنه بث عقيدة الاعتزال في تضاغيف كلامه ، ومرر فكره و قناعاته عن طريق جدله وحجاجه ، حتى عد أشهر المتكلمين في عصره .

الفصل الثالث:

بلاغة الحجاج عند الجاحظ رؤية في الخلفيات الحجاجية في بعض رسائل الجاحظ

مفهوم الحجاج عند الجاحظ:

التفت الجاحظ في غير موضعه من كتبه إلى الحجاج والمسائل الحافة به، فمن ذلك قوله: قال بعض الهند جماع البلاغة البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة[1]، وقال في موضع آخر: كان سهل بن هارون يقول «سياسة البلاغة أشد من البلاغة»[2].

والمتأمل في مسرد تعريفات البلاغة التي أوردها الجاحظ في البيان والتبيين يقطع في غير الشك أن البلاغة هي الحجاج، وذلك أن كل حد من هذه الحدود التي عرضا لها الجاحظ تتناول قضية من قضايا الحجاج الكبرى، وآلية من آليات اشتغاله في الخطاب، فالفصل والوصل وتصحيح الأقسام والبصر بالحجة والتماس حسن الموقع، ومعرفة ساعات القول[3]، إلى غير ذلك من القضايا فهي إما أن تدخل مباشرة في مسائل الحجاج التي نحن بصددها وإما أن تكون من المسائل الحافة به كما أن قراءة فاحصة للبيان والتبيين تقضي في غير شك بأن الجاحظ قد اهتم باستراتيجيات الخطابة في أبعادها الثلاثة: الخطيب والخطبة والمخاطب، لان البيان عنده يحتاج إلى تمييز وسياسة،وإلى ترتيب ورياضة،وإلى تمام الآلة وإحكام الصنعة،وإلى سهولة المخرج وجهارة المنطق، وتكميل الحروق وإقامة الوزن

[1] الجاحظ: **البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة** 07، 1998، الجزء الأول، الصفحة 88.

[2] الجاحظ: **البيان والتبيين ،مصدر سابق، الصفحة** 198.

[3] الجاحظ: **البيان والتبيين ،مصدر سابق، الصفحة 88**

وإن حاجة المنطق إلى الحلاوة ،كحاجته إلى الجزالة والفخامة، وأن ذلك من أكثر ماتستمال به القلوب وتثنى به الأعناق وتزين به المعاني[1]» .

ومعلوم أن غاية الحجاج هي استمالة القلوب وثني الأعناق-كما قررها فما هذه الإشارات التي نجدها هنا وهناك متناثرة في كتب التفسير والبلاغة والأدب إلا شذرات اقتضتها ضرورة الفهم والإفهام التي أولع بها الدارسون آنذاك، غافلين عن آليات الفهم والإفهام ووسائله لهذا انصب اهتمام البلاغيين على وجه البيان بوصفها سرا من أسرار جمال الخطاب لا بوصفها وسائل تأثير في المتلقي وإقناعه[2].

إضاءة حول الحجاج عند الجاحظ:

ليس شغل هذا المبحث الوقوف عند الدور التأسيس الحاسم الذي اضطلع به الجاحظ في تشكل البلاغة العربية، كما أن المجال لا يسع للم أشتات مشروعه المتوزعة في رسائله وكتاب الحيوان وكتاب البيان والتبيين.... إن الغرض محدد في الكشف عن مناحي بلاغة الإقناع لدى أبي عثمان.

لقد استقر في اعتقاد الكثير من الباحثين أن البلاغة العربية توزعها تياران واسعان، تيار بلاغة الصورة والحلية والمحسنات وتيار بلاغة

[1] الجاحظ: **البيان والتبيين ،مصدر سابق، الصفحة 14**.

[2] علي محمد سلمان، **كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج (رسائله نموذجا) المؤسسة العربية للدراسات والنشر مملكة البحرين، الطبعة الأولى**، 2010، الصفحة 53.

الخطابة وقد قرن هذا التيار الأخير غالبا بالجاحظ الذي عد مؤسسه ومحكم خصائصه.

واهتمام الجاحظ ببلاغة الإقناع حكمه أصلا المنطلق المذهبي الذي صدر عنه، فلقد كان منخرط بشكل قوي في نحلة تعتبر أن اللغة والبلاغة هما سلاح المناظرين والمجادلين الذين يتوخون نصرة مذهبهم والإقناع به، إن هذا المعتزلي الذي كان على رأس إحدى الفرق، وعى بشكل حاد الدور الجسيم للكلام في مقارعة الرأي بالرأي ومواجهة الخطاب بالخطاب. لذلك أثنى على أصحاب هذه الملكة من المحاججين لاسيما أهل مذهبه من المعتزلة[1]. إن البعد المذهبي للجاحظ وولهه بأئمة الحجة والكلام دفعاه إلى ربط البلاغة بأهداف اقناعية محددا للكلام أدوارا في لخصومة[2]، ومنازعة الرجال ومناقلة الأكفاء[3]،ومناضلة الخصوم[4]،وفي الاحتجاج على أرباب النحل ومقارعة الأبطال[5] وفي العلو على الخصم[6].

إن الإقرار بالبعد الإقناعي للقول والتسليم بفتنته وقدراته الخاصة على التأثير مرده كذلك عند الجاحظ لاشتغاله على الخطبة في مشروعه

---

[1] عبد اللطيف عادل: **بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى**،1434 /2013، الصفحة 61.

[2] الجاحظ: **البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون،دار الجيب**، بيروت (د.ت)، الجزء الأول، الصفحة 8.

[3] الجاحظ: **البيان والتبيين، مصدر سابق، الصفحة 12**.

[4] **الجاحظ: البيان والتبيين، مصدر سابق، الصفحة 91**.

[5] **الجاحظ: البيان والتبيين، مصدر سابق، الصفحة 14**.

[6] **الجاحظ: البيان والتبيين، مصدر سابق، الصفحة** 176.

البلاغي يقول بدوي طبانه (ولم يطنب الجاحظ في دراسة فن ملحوظ عرف العرب بإجادته والإيداع فيه، وهو فن الشعر كما أطنب في ذكر الخطابة)[1].

إذا من متن الخطبة الغزير الذي أورده في كتابه البيان والتبيين استنبط الجاحظ آليات اشتغالها والأدوات التي تتوسلها ومعلوم أن الخطبة جنس ارتبط منذ مطلع نشأته بمقاصد نفعية[2].

لذلك كان طبيعيا أن يطابق الجاحظ بين مدلول البلاغة ومدلول الخطابة، وأن يعني بالنجاعة الحجاجية للقول أكثر من اعتنائه بوجوه التجميل الأسلوبي، فهذه الأخيرة تقع على هامش مشاغله غير داخلة في تصوره الكلي للبيان والتبيين[3]، فحرصه الأول على منفعة القول لأعلى التوشية فيه.

وعموما، فربط البلاغة بالإقناع تجلى في مشرعه الجاحظ من خلال العناية الخاصة التي أفردها لوظيفتي الإفهام والإقناع في القول ثم من خلال تركيزه على عنصري المقام والمتلقي والمستمع[4].

---

[1] بدوي طبانة: **البيان العربي،دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة الرسالة، الطبعة الثالثة**، 1381، 1962، الصفحة 62.

[2] حمادي صمود: **التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وطوره إلى القرن السادس(مشروع قراءة)، منشورات كلية الآداب منوبة، تونس، الطبعة الثانية، 1994، الصفحة** 305.

[3] حمادي صمود: **التفكير البلاغي عند العرب، مرجع سابق، الصفحة 307**.

[4] عبد اللطيف عادل، **بلاغة الإقناع في المناظرة، مرجع سابق، الصفحة 62**.

وظيفة الإقناع في بلاغة الجاحظ:

يقول الدكتور محمد العمري : إن تحليل إستراتيجية كتاب البيان والتبيين للجاحظ يكشف بكل وضوح أن هذا الكتاب محاولة لوضع نظرية لبلاغة الإقناع مركزها الخطاب اللغوي الشفوي[1].فلقد انتبه الجاحظ إلى سلطان الكلام وعارضة الاحتجاج ومالهما من مفعول قوي في الاستمالة وجلب انخراط المستمعين.

لذلك ربط البلاغة بالإقناع، يقول: جماع البلاغة البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة[2].

فالبلاغة تعدو وسيلة للتأثير على المستمع، والظهور عليه وإقناعه بالرأي. إن القول البليغ منذور لتحويل حياد المتلقي أو معارضته إلى تجاوب.

هذا القول المقنع المضطلع بإيقاع التصديق، هو نفسه الذي التمسه موسى بن عمران(عليه السلام) من ربه وقد استبد به التهيب والرهبة من لقاء فرعون: (وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني....) ويعلق الجاحظ «رغبة منه (موسى) في غاية الإفصاح بالحجة، والمبالغة في وضوح الدلالة لتكوين الأعناق أليه أميل والعقول عنه أفهم، والنفوس أليه أسرع »[3]، نفهم

[1] محمد العمري: **المقام الخطابي والمقام الشعري في الدرس البلاغي، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية، العدد 05 خريف/ شتاء، 1991، الصفحة 11.**

[2] الجاحظ: **البيان والتبيين، الجزء الأول، مصدر سابق ،الصفحة 88.**

[3] الجاحظ: **البيان والتبيين، الجزء الأول، مصدر سابق، الصفحة 07.**

من هنا أن الجاحظ علق على الحجاج بقوله هو الإفصاح بالحجة والمبالغة في وضوح الدلالة.

وقد لخص الدكتور محمد العمري الأغراض الإقناعية التي يحققها القول حسب تصور الجاحظ في استمالة القلوب وميل الأعناق والتصديق وفهم العقول وإسراع النفوس والاستمالة والاضطرار والتحريك وحل الحبوة[1]، وهي أغراض ينجزها الخطاب متى سلم صاحبه من العي والحبسة، وتوقف اللسان وضيق الصدر، ومتى وفر لقوله مقومات الإبلاغ والصحة والإيضاح والدلالة والحجة والترتيب... وبعبارة مركزة، لاينجز مهام الاحتجاج والمناظرة والمنازعة إلا قول مقنع أي« فصل الخطاب» يقول عمرو بن عبيد فيما نقله عنه الجاحظ: أنك أن أوتيت تقرير حجة الله تعالى في عقول المكلفين وتحقيق المؤونة على المستمعين، وترتيب تلك المعاني في قلوب المريدين بالألفاظ المستحبة في الآذان المقبولة عند الأذهان رغبة في سرعة استجابتهم ونفي الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة كنت قد أوتيت فصل الخطاب[2].

[1] محمد العمري: **البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، بيروت،1999 ، الصفحة 198**.

[2] الجاحظ: **البيان والتبيين، الجزء الأول، مصدر سابق، الصفحة 81**.

استراتيجيات الحجاج ووظائفه :

تقنيات الحجاج ووظائفه :

1-مفهوم الصورة الحجاجية :

مفهوم الصورة (image) مفهوم إشكالي ملتبس ، و ذلك لتقاطعها مع مصطلحات عدة ، كمزخرف ، و متخيل ، وخيال و مخيلة و تخيل ،و قد اختلف البلاغيون و النقاد في تعريفها ، فمنهم من يوسع دائرتها لتشمل كل عبارة فنية تصويرية سواء جاء على سبيل الحقيقة أو المجاز ، ومنهم من يتوسط فيجعلها تشمل المجاز فقط ، و لكن بمفهومه الواسع يشمل التشبيه و التمثيل والاستعارة و المجاز المرسل و الكناية و الرمز ومنهم من يضيق دائرته ليشمل التشبيه والاستعارة و الرمز فقط ،و لكل اتجاه من هذه الاتجاهات الثلاثة أنصار في القديم و في الحديث [1].

و قد ورد لفظ التصوير عند الجاحظ في مواضع عدة من مكتوباته [2] ،غير أنه لم يأخذ مكانة كمصطلح في المنظومة البلاغية العربية إلا على يد عبد القاهر الجرجاني الذي استحسن رأي الجاحظ في أن المزية في الشعر لا تكمن في معانيه لأن المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العربي و العجمي و البدوي و القروي

[1] الجاحظ :الحيوان ،**تح :يحي الشامي ،دار و مكتبة الهلال ، بيروت ،2003، م1،ج3**،ص406

[2] الولي محمد :**الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي و النقدي ، المركز الثقافي العربي** ، الدار البيضاء، ط1990،1،ص15-16

و المدني ، و إنما الشأن في تخير اللفظ ، و جودة السبك ، و حسن التصوير ، «و معلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير و الصياغة و أن سبيل المعنى الذي يعبر عن سبيل الشيء الذي يقع التصوير و الصوغ فيه كالفضة و الذهب يصاغ منهما خاتم وسوار فكما أن محالا إذا أردت النظر في صوغ الخاتم و في جودة العمل ورداءته أن تنظر إلى الفضة الحاملة لتلك الصورة أو الذهب الذي وقع فيه العمل و تلك الصنعة. كذلك محال ــ إذا أردت أن تعرف مكان الفضل و المزية في الكلام أن تنظر في مجرد معناه»[1].

وقد حاول كثير من المحدثين تعريف الصورة البيانية ، و لعل من أهمهم فيتقنشتاين wittegrnstein الذي يعرفها بقوله :«هي أن تشاهد الشيء على هيئة شيء آخر»[2] و هو تعريف عام ، و كذلك هنريش بليث يعرفها بقوله: «الصورة البلاغية هي الوحدة اللسانية التي تشكل انزياحا . و بذلك يكون فن العبارة Elocution نسقا من الانزياحات اللسانية »[3].

وقد تتبع الدكتور جابر عصفور مفهوم الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب في كتابه " الصورة الفنية في التراث النقدي

[1] عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، **تح: أحمد مصطفى المراغي ، المكتبة المحمودية ، القاهرة**،ط2،دت ، ص175-176

3 عبد الله صولة : **الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، منشورات كلية الآداب بمنوبة ، سلسلة لسانيات ،م13، جامعة منوبة ، تونس** ، دط،2001، ص278 [2]

[3] هنريش بليث : **البلاغة و الأسلوبية . نحو نموذج سيميائي لتحليل النص . تر: محمد العمري** ، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ،دط، 1999، ص22

و البلاغي عند العرب " منذ الجاحظ مرورا بجملة من اللغويين و النحويين و البلاغيين و النقاد و الفلاسفة ، منتهيا بحازم القرطاجني ، وقد خلص من دراسته إلى القول ب«أن الكشف عما توصل إليه التراث النقدي و البلاغي من إنجازات تتصل بقضية الصورة الفنية يتم بدراسة جوانب ثلاثة بالغة الأهمية , أول هذه الجوانب هو الخيال ، أو الملكة التي تشكل صورة القصيدة و تصل ما بينها في عمل أدبي. و ثانيها : دراسة طبيعة الصورة ذاتها ، باعتبارها نتاجا لهذه الملكة ونسيجا متميزا من العلاقات اللغوية ، يقدم المعنى تقديما حسيا، و ثالثها : دراسة الوظيفة التي تؤديها الصورة في العمل الأدبي ، و أهميتها للمبدع و المتلقي على السواء»[1].

و قد انتهلى في نهلية دراسته إلى أن حازم شأنه شأن غيره من القداماء رد وظيفة الصورة إلى إقناع بفكرة ، أو امتناع بتصوير مستطرف

و الحقيقة أن ما توصل إليه جابر عصفور من نتائج في دراسته للصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب هو مناط دراسة الصورة البيانية أو البلاغية عند كثير من المحدثين اليوم ،سواء تناولوها من الوجهة الشعرية أو بوصفها تخييلا ، و التخيل عماد الشعرية ،و قوامها ، أو من الوجهة الخطابية و الترسلية بوصفها

[1]جابر عصفور : **الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب** ، **المركز الثقافي العربي** ، بيروت ، ط3، 1992،ص9 .

حجاجا؛ إذ إن الخطاب و الترسل يتوسلان بالصورة الفنية الحجاجية، بغرض الإقناع .

وذلك أن الصورة الحجاجية نشاط تداولي تلح في تركيبها لحازي أو الاستبدالي على حضور متزامن لأطراف التخاطب

و المقام في حركة التفاعلية« حيث من خلال تفاعل و تحاج كل من هذه الأطراف يكون المعنى و يتبلور الهدف »[1].

و كذلك الولي محمد في كتابه "الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي و النقدي "تتبع مفهموم الشعرية عند جملة من الفلاسفة و اللسانيين و النقاد في النقد القديم و الحديث ،و استخلص في اية دراسته إلى توصية مؤادها أن الخلاص من التخبط في النقد الحديث «لن يتم إلا بالعودة إلى الدراسة النصية . و هذه العودة ليست ممكنة دون الاستناد إلى رصيد تراث البلاغة التي عينت موضوعها منذ قرون باعتبارها مجموع الصفات التي تمنح النص صفة الشعرية»[2]

[1] سعيد الحنصالي : **الاستعارات و الشعر العربي الحديث ، دار توبقال**، الدار البيضاء ،ط1، 2005، ص149

[2] محمد الولي : **الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي و النقدي ، المركز الثقافي العربي** ، الدار البيضاء، ط1، 1990،ص 298

و من هنا فإن البلاغة الجديدة (الحجاج) قد عدت الصورة بنية من أهم التقنيات التي يتوسل بها الخطاب في التأثير في المتلقين و لإقناعهم .

و الصورة البلاغية الجديدة قائمة «على الاستدلال بمعنى على معنى و إثبات معنى مدّعي بواسطة معنى هو منه بمثابة البيّنة »[1].

و من هنا فوجهتنا لدراسة الصورة الحجاجية في رسائل تتأسس على البعد الاستدلالي و العدو لي أو ما يسمى بالبعد التجوّزي، الذي اعتمدته البلاغة القديمة و كذلك البلاغة الجديدة التي عادت إلى الأصل القديم عند أرسطوو ذلك «أنّ وظيفة المجاز الاستدلالية الناشئة عن بنيته الاستبدالية هي الفكرة الرائجة في الدراسات الحجاجية الحديثة في الغرب و هي فكرة تعود في الأصل إلى أرسطو [2].

يمكن أن نوضح بنية الصورة الحجاجية بوصفها استبدالا أو عدولا بجملة من الأمثلة ، نحو قول : هو ثعلب أو «هو بحر»، أو «هو حمار » ففي هذه الأمثلة عدل القول : هو ماكر ، و عن قول هو كريم و عن قول هو بليد ، و هي دعاوى تريد أن تثبتها إلى الآخر ، فعدلت عنها إلى ثعلب ، و بحر ، وحمار ، و هي صور أو معان قرت في العقل

[1] عبد الله صولة : **الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، منشورات كلية الآداب بمنوبة ، سلسلة لسانيات** ،م13، جامعة منوبة ، تونس ، دط،2001، ص558

[2] عبد الله صولة : **الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، منشورات كلية الآداب** بمنوبة ، سلسلة لسانيات ،م13، جامعة منوبة ، تونس ، دط،2001، ص558

الجمعي ، أي ما من ثعلب إلا ماكر ،و ما من بحر إلا وكريم ،و ما من حمار إلا وبليد ، و قد تسالم المجتمع على ذلك ، ومن ثم يمكن الاعتراض على الحكم في كون الشخص ماكرا ، أو كريما ، أو بليدا ،لأنّه لا يتصف بهذه الأصناف ؛لكن لا يمكن الاعتراض على كون الثعلب ماكرا ،و البحر سخيا ، و الحمار بليدا .

و يمكن توضيح حجاجيّة الصورة بالخطابة التالية :

1. هو ثعلب ⟵ إذن هو ماكر

قانون العبور أو الضمان : ذلك أنّ كل ثعلب ماكر .

2. هو بحر ⟵ إذن هو كريم

قانون العبور أو الضمان : ذلك أنّ كل بحر كريم .

3. هو حمار ⟵ إذن هو بليد

قانون العبور أو الضمان : ذلك أنّ كل حمار بليد .

4. هو حجر عثرة في طريقنا ⟵ إذن هو عائق

قانون العبور أو الضمان : ذلك أنّ كل حجر في الطريق عائق عن السير .

ومن هنا نتأكد أن الحجة الناجمة عن التشبيه ،و الاستعارة أو الكناية قائمة على ما تعارف عليه الناس في المجتمع الواحد ، من قيم أو مواضع ، تمثل قاعدة الانطلاق التي تضمن العبور من الحجة إلى النتيجة

مادة الصورة الحجاجية :

يلح الدارسون القدامى و كذلك أكثر المحدثين على أن الحس هو الميدان الأكبر الذي تمنح منه الصورة مادتها ، لأن المقصود بحسية الصورة

ليس مجرد المشاهدات و الممارسات أو السلوك المادي الصرف ؛و إنما هي تفاعل مجموعة من العناصر الذاتية ، و الموضوعية ، و المقامية"إذ لا تكون ذات طاقة حجاجية «لأنها من الحس فحسب و إنما الحس نفسه منتزع من تجارب المتلقين المادية و ممارستهم المعيشية ، و مشاهدتهم العينية و من سلوكهم اليومي »[1].بما أن الصورة في أكثرها حسية ؛ إلا أننا لا نعدم صورا عند الجاحظ تستمد مادتها التصويرية من ميادين أخرى ، كالميدان العقدي أو الفكري و الثقافي المجرد .

و كل صورة من صور الجاحظ في الرسائل تجدها تنتمي في مادتها إلى جانب من الجوانب الحياتية ، أي أن الصورة عند الجاحظ مشتقاة من الواقع .

يقول الجاحظ في رسالة صناعة الكلام «إنّ صناعة الكلام علق نفيس وجوهر ثمين ، و هو الكنز الذي لا يفنى و لا يبلى »[2]. و هذه الصورة مأخوذة من ميدان المال ، و هو ميدان حسي ، إلا أن المقام هو مقام الحديث عن أهمية الكلام ، و قيمته في الحياة ،و لم يكتفي بتشبيه الكلام بالعلق ، والجوهر ،و الكنز و هي كلها أشياء نفيسة قرت في العقل الجمعي للمجتمع ؛بل أعقب كل واحد من هذه الأشياء الثمينة بوصف يؤكد نفاستها ،فقال : علق نفيس ، و جوهر ثمين ، و كنز لا يفنى. و بهذا

[1] عبد الله صولة : **الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، منشورات كلية الآداب بمنوبة** ، سلسلة لسانيات ،م13، جامعة منوبة ، تونس ، دط،2001، ص558

[2] الجاحظ : **رسائل الجاحظ ،رسالة صناعة الكلام ،تح :عبد السلام محمد هارون ،دار الجيل ، بيروت** م2،ج4، ط1، 1991،ص244

تكتمل الصورة، فصناعةالكلام لا تقل أهمية عن المال لأنها رمز الغنى و الثراء و المكانة و الوجاهة ، و المال زينة الحياة الدنيا ، فإنّ صناعة الكلام زينة في الدنيا ، لقوله تعالى :" الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا [1]

إذن ليس اعتباطا اختيار الجاحظ ميدان المال يجلب منه مادة صورته وإنّما هو اختيار منظور فيه البعد الإقناعي . لهذا أعقب هذه الصورة بصورة أخرى من ميدان آخر هو الميدان الاجتماعي قال «والصاحب الذي لا يمل ولا يغل »[2]. و هنا يحتاط الجاحظ لنفسه بوصف الصاحب بأنه لا يمل ولا يغل ، أي ليس في قلبه "الغش و الضغن " و هذا احتراز يزيح شك الشاك ،و قدح القادح في مدى إخلاص هذا الصاحب ، ونزاهته وصدقه. و لفظ الصاحب لا يقال إلا لمن له مع الشخص صحبة طويلة ،و هو لفظ قرآني رسخته الشريعة في نفوس الناس من نحو قوله تعالى :"إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا "[3].إذن فصناعة الكلام «كالصاحب الذي لا يمل و لايغل »و الصحبة سلوك اجتماعي لا يستغني عنه بنو البشر .ثم أعقب الصورة بصورة ثالثة من الميدان الحضاري أو الثقافي يقول:

[1] سورة الكهف : الآية 43

1الجاحظ : **رسائل الجاحظ ،رسالة صناعة الكلام ،تح :عبد السلام محمد هارون ،دار الجيل ، بيروت** م2،ج4، ط1، 1991،ص244

[3] سورة التوبة : الآية 40

« و الزّمام على كل عبارة ، و القسطاس الذي به يستبان نقصان كل شيء ورجحانه ، والراووق الذي يعرف صفاء كل شيء وكدره ؛و الذي كل أهل علم عليه عيال ، وهو لكل تحصيل آلة و مثال »[1].

شبه الجاحظ الكلام بالزّمام ، والزّمام من الزّم وهو الشّد ، و الزّمام الحبل الذي يجعل في البرة و الخشبة ، و زمت البعير إذا علقت عليه الزمام ...و قد يسمى المقود زماما[2]. إذن الزمام هو الحبل الذي يزّم به أو المقود ، فالزم على هذا ضابط و ميزان في أمور كثيرة عند العرب ، إذ لا يمكن أن تنظم أو يفاد منها إلاّ به ،و من هنا قرت قيمة الزمام في العقل الجمعي عند العرب ، و صار قيمة ،و طرزا ، يتكأ عليه بوصفه قاعدة عبور ،و منطلقا ضامنا للنتيجة .

نستخلص من كل هذا أن الجاحظ يستمد مادة صوره من حياة المتلقين و سلوكهم اليومي ،مما قرّت طرزه في عقلهم الجمعي ، وواضح أيضا أنه يحرص على التنوع في مصادر صوره ، فمرة هي من المجال المالي وأخرى من المجال الاجتماعي و ثالثا من المجال الحضاري و هذا التنوع يدل على أن غايته التأثير على المتلقي و إقناعه ؛ لأن الصور في هذا المنهج تأخذ طاقتها الحجاجية من أكثر من موضع، و تعدّد المواضع الحجاجية في الخطاب يعد من أكبر الأدلة على حجاجية الملفوظ ،و هو أمر أكدته البلاغة الجديدة اليوم ،و هذا الأسلوب في الحجاج سار عليه

[1] الجاحظ : **رسائل الجاحظ ،رسالة صناعة الكلام ،تح :عبد السلام محمد هارون ،دار الجيل** ، بيروت م2،ج4، ط1، 1991،ص244

[2] ابن منظور المصري: **لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ج8 ، دط ، دت** ، ص377

الجاحظ في مكتوباته ، لعلمه بأن الصورة حينما تمتد في الخطاب تقوم بوظيفة الشحن الدلالي ، فيكون تأثيرها على المتلقي قويا، وأثرها فيه مضمونا، خاصة إذا كانت الصورة قد منحت مادتها من مصادر عدّة.

أشكال الصورة الحجاجية :

استثمر الجاحظ في رسائله أشكالا من الصور الحجاجية ،بعضها من باب التمثيل لا الاستقصاء ، و من باب بيان كيفية اشتغالها حجاجيا في الخطاب الجاحظي متأسسين بمذهب عبد القاهر الجرجاني في كون التشبيه و التمثيل و الاستعارة أصولا كبرى.

التشبيه :

معلوم أن التشبيه أعم من التمثيل ، وأنّه " كالأصل في الاستعارة وهي شبيه بالفرع له، أوصورة مقتضبة من صوره "[1] .و التشبيه لغة : التمثيل ، و أشبه الشيء :ماثله ، وتشابه الشيئان ، واشتبها :أشبه كل واحد منهما صاحبه[2].و في الاصطلاح :"هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر آخر في معنى لا على وجه الاستعارة الحقيقية ، والاستعارة بالكناية و التجريد "[3].

عبد القادر الجرجاني : **أسرار البلاغة ، تح :محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة** ، وجدة ، ط1، 1991، ص 91 -90[1]

[2] ابن منظور المصري: **لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ج13، دط ، دت** ، ص513

[3] سعيد الدين التفتازاني : **كتاب المطول في شرح تلخيص المفتاح ، المكتبة الأزهرية للتراث ،القاهرة** ، دط ، 1330هـ ،ص310

و التشبيه عند الجرجاني على ضربين :

الأول:"تشبيه الشيء بالشيء من جهة الصورة والشكل نحو :أن يشبه الشيء إذا استدار بالكرة ...و كالتشبيه من جهة

اللون ، كتشبيه الخدود بالورود ،و الشعر بالليل ، أو جمع صورة و اللون معا كتشبيه الثريا بعنقود الكرم المنور .و كذلك التشبيه من جهة الهيئة نحو : مستوى منتصب مديد، كتشبيه قامة الرجل بالرمح ، و القد اللطيف بالغصن و كذلك كل تشبيه جميع بين شيئين فيما يدخل تحت الحواس ، نحو تشبيهك صوت بعض الأشياء بصوت غيره، كتشبيه صريف أنياب البعير بصياح البوازي، كما قال :

كأنَّ عَلَى أنْيابِهَا كُلَّ سُحْرَةٍ

صِياح البَوازِي من صَرِيفِ اللَّوائكِ

و هكذا التشبيه من جهة الغريزة و الطباع كتشبيه الرجل بالأسد في الشجاعة "[1].

فهذه التشبيهات بينة لا يجري فيها التأوّل على حد تعبير عبد القاهر الجرجاني[2].

الثاني :"هو الشبه الذي يحصل بضرب من التأول «كقولك : هذه حجة كالشمس في الظهور ، و قد شبهت الحجة بالشمس من جهة ظهورها ، كما شبهت فيما مضى الشيء بالشيء من جهة ما أردت من لون أو صورة أو غيرهما . إلا أنّك تعلم

عبد القادر الجرجاني : **أسرار البلاغة ، تح :محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، وجدة** ، ط1، 1991، ص 91 -90[1]

[2] نفس المصدر السابق :ص92

أنّ هذا التشبيه لا يتم لك إلا بتأول »[1] و التأول عند عبد القاهر الجرجاني يتفاوت فمنه ما يقرب مأخذه و يسهل الوصول إليه ، ومنه ما يحتاج فيه إلى قدر من التأمل

وظيفة التشبيه :

وظيفة التشبيه عند النقاد و البلاغيين والقدامى في معاني التوضيح و الكشف و التقريب و التوكيد و هذه الوظيفة منطلقا من أحادي أو تجزيئي ، بوصفها انطلقت من حاجة المتلقي إلى الوضوح و التقريب ، و لم ينطلق من الموقف. المقامي ككل لا يتجزأ؛ لأنّ المعاني لا يمكن الظفر بها من عنصر مقامي واحد إذ لا بد من النظر في الخطاب في مقام التخاطب الذي يضم عناصر :الملقي.

و الخطاب ، و المتلقي و السياق ، لكي نصل إلى الوظائف الحقيقية لذلك الخطاب يقول الجاحظ في رسالة التربيع و التدوير:«و لولم نجد لك إلا إننا لا نستطيع أن نقول في الجملة ، وعند الوصف و المدح: لهو أحسن من القمر، و أضوأ من الشمس ، و أبهى من الغيث ، و أحسن من الحيلة ؛ و أنّا لا نستطيع أن نقول في التفاريق : كأن عنقه إبريق فضّة ، و كأن قدمه لسان حية ، و كأنّ وجهه ماويّة ، وكأنّ بطنه قبطية ، و كأنّ ساقه برديّة و كأنّ حاجبه خط بقلم ، و كأنّ لونه الذهب وكأن عوارضه البرد وكأنّ فاه خاتم ، و كأنّ جبينه هلال .و لهو أطهر من الماء ،و أرق طباعا من الهواء ، ولهو أمضى من السيل ، وأهدى من النجم لكان في ذلك البرهان النيّر، والدليل البيّن.

[1] عبد القادر الجرجاني : **أسرار البلاغة ، تح :محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة** ، وجدة ، ط1، 1991، ص 92 .

وكيف لا تكون كذلك و أنت الغاية في كل فضل ، و المثل في كل شكل»إلى أن يقول :" و الجملة التي تنفي الجدال ، وتقطع القيل و القال ، أنّي لم أرك قطّ إلا ذكرت الجنّة، و لا رأيت أجمل الناس في عقب رؤيتك إلاّ ذكرت النار"[1]

" وما ندري في أي الحالين أنت أجمل ، وفي أيّ المنزلتين أنت أكمل ، إذا فرّقنا أو إذا جمعناك ، وإذ ذكرنا كلّك أم إذا تأملنا بعضك"[2].

كل هذه التشبيهات أوردها الجاحظ من مقام السخرية من أحمد عبد الوهاب .

و الحقيقة أن تتابع التشبيهات و امتدادها حتى لنهاية المقطع يشكل صورة كليّة و إن شئت فقل ممتدة عوّدنا عليها في مكتوباته ؛ إذ نعدّ من أهم السمات و الأسلوبية في ترسله .و قد استعمل الجاحظ شكلا من أشكال الصورة هنا هو التشبيه و قد استعمله في كلتا الصورتين فالأول استعمل أفعال التفضيل ، أما الثاني فقد استعمله مع كأنّ مرة، أي إنّه استعمل شكليين من أشكال التشبيه

التمثيل :

التمثيل عند البلاغيين القدامى هو المثال الذي ينحذى عليه ،و المقياس الذي يقاس عليه غيره ، و أنّ وظيفته ليست إبباغية فقط ، و إنّما حجاجية بالدرجة الأولى ؛ غرضه الإقناع و الدفع نحو إنجاز الفعل .

[1] الجاحظ : رسائل الجاحظ ،رسالة التربيع و التدوير،تح :عبد السلام محمد هارون ،دار الجيل ، بيروت م2،ج4، ط1، 1991، ص84. 85

[2] نفس المصدر السابق :ص89

يقول الجاحظ في حديثه عن الحب في رسالة القيان :"فعلم أنّه إذا أضيف إلى الحبّ و الهوى و المشاكلة ، أعني مشاكلة الطبيعة ،أي حب الرّجال النساء وحب تانساء الرجال ، المركب في جميع الفحول و الإناث و الحيوان صار ذلك عشقا صحيحا (...)ثمّ لم نره ليكون مستحكما عند أوّل لقياه حتى يعقد ذلك الإلف و تغرسه المواظبة في القلب ، فينبت كما تنبت الحبة في الأرض حتى تستحكم وتشتدّ و تثمر ، و ربّما صار لها كالجذع السحوق و العمود الصّلب الشديد .

وربّما انعقف فصار فيه بوار الأصل . فإذا اشتمل على هذه العلل صار عشقا" [1]

و هذا شكل من أشكال التمثيل عند الجاحظ ، فهذا التمثيل يستمد مادته من الطبيعة أو من مجال الزراعة ،و قد تخير الصورة تخيرا يتناسب مع مقام العشق .و بهذا التمثيل استطاع الجاحظ أن ينقلنا من التفكير في كيفيّة تمكن العاشق في العاشق بالكلام الحرفي ، إلى التفكير في المثال الذي يجسّد معنى العشق في تطوّره و تمكنه بالتدريج في الإنسان .

الاستعارة :

عرف عبد القاهر الجرجاني الاستعارة بقوله :"اعلم أنّ الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصل في الموضع اللغوي معروف تدلّ الشواهد

[1] الجاحظ : **رسائل الجاحظ ،رسالة القيان ،تح :عبد السلام محمد هارون ،دار الجيل ، بيروت م1،ج2**، ط1، 1998، ص 168

على أنّه اختصّ به حين وضع ، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل ، وينقله إليه نقلا غير لازم ، فيكون هناك كالعارية "[1].

ثمة وظائف تؤديها الاستعارة في الخطاب التداولي بشتى صنوفه وأنواعه ، يمكن أن نجملها في الوظائف التالية :

الوظيفة الإخبارية : أي أنّ الاستعارة تؤدي وظيفة الإبلاغ و الإخبار ،و الوظيفة الإخبارية للاستعارة لا تعنى بالضرورة أنّ الاستعارة مبتذلة مستهلكة ؛ممّا جعلها تنحدر لأداء الأوّلي للغة ، و إنّما قد تكون هذه الوظيفة باعثا على استخدام الاستعارة بصورة تترجم وعي المنتج " بالكون الذي يندّ عن حدود المنطق و اللغة العادية " فيتجاوز بالاستعارة "ما تستطيع أن تقوله لغة الإعلام البسيطة محاولا أداء إعلام أرقى و أعقد"[2].

الوظيفة الإيضاحية:

هذه الاستعارة تقوم بدور الإفهام ،و هذه الوظيفة ألحّ عليها البلاغيون القدامى مثل عبد القاهر الجرجاني و من جاء قبله و بعده ؛ إذ هي عندهم وسيلة تعبير أي إيضاح أو الكشف لأنّ"فائدة الستعارة تكمن أساسا في كشفها عن المناطق الجديدة أو المهملة في علاقة الإنسان بمحيطه و بالأشياء و في علاقة هذه الأشياء بعضها ببعض".

[1] عبد القادر الجرجاني : **أسرار البلاغة ، تح :محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، وجدة ، ط1**، 1991، ص 30

[2] عمر أوكان : اللغة **و الخطاب ، أفريقيا الشرق ، الدر البيضاء** ، دط، 2001،ص 90

الوظيفة الجمالية :

تهدف الاستعارة فيما تهدف إلى وظيفة ذاتيّة ، و رغم أنها تهدف إلى ذاتها و تهتم كثيرا بزينة القول الجماليّة ، بوصفها محسنا قوليا، إلاّ أنّها لا تلغي الوظائف الأخرى التي يفرضها السياق اللغوي و غير اللغوي و القرائن الحافّة بالخطاب

والتي نصبها المنتج ليدل بها على مقاصده و مراميه ،"لأنّ القصد التجميلي لا يمكن عادة في الاستعارة الجديدة الأصليّة و لا يمثل بواعثها الأساسية **و إن** هي أحدثت هذا الأثر الجمالي و لا بد أن تحدثه فهو نتيجة لها وليس باعثا عليها.

الوظيفة المعرفية :

وظيفة الاستعارة ليست الإخبار و نقل المعنى فقط، و إنّما هي ت وظيفو بنائية ، أي أنها قادرة على بناء معنى جديد ، يختلف قليلا أو كثيرا عن المعنى الحرفي ، و قادرة على تثوير المشاعر و توجيهها الوجهة التي يرمي إليها منتج الخطاب و من هنا أصبحت ذات وظيفة معرفية ، و قل بنائية ؛ لأنّها بحسب طه عبد الرحمان تجمع بين عالمين ، عالم الممكن و مداره التخييل ، وعالم الواقع و مداره مفارقة المستعار له المستعار فيه ، وإن اشترك معه في بعض الصفات " حتى أن الأدب الذي هو مسرح الاستعارة يبدو كأنه صناعة تختص بإبداع العوالم الممكنة فالأديب يتصوّر و يدعونا إلى تصور عالم ينشئ أفراده إنشاء و يبني أحداثه بناء "[1].

[1] صلاح فضل : **علم الأسلوب مبادئه و إجراءاته ، مؤسسة مختار (دار عالم المعرفة)** ، القاهرة ،دط، 1992، ص259

الوظيفة الحجاجية :

الاستعارة من المنظور الحجاجي " إبدال قد يحصل به اختصار و إيجاز بوضع المستعار مكان المستعار له ،و الأصل في الإبدال الاستعاري هو قياس، إلاّ أنّه قياس مختزل أي قياس حذفت مقدماته ، و اكتفي بالنتيجة ، مثلا عن الشيخوخة بأنّها «عشية العمر » فالاستعارة التي في لفظ " العشية هي في الحقيقة نتيجة لمقدمتين هما : .

1. المقدمة الأولى : الشيخوخة آخر العمر .
2. المقدمة الثانية : العشية آخر النهار .
3. النتيجة الاستعاريّة : عشية العمر " الشيخوخة "

أما فعالية الاستعارة فهي في تقيّد الاستعارة بمقتم الكلام ، و أنّ التقيّد الاستعاري[1] بالمقام يجعلها (تدخل في سياق) التواصل الخطابي " باعتباره نسقا من القيم و المعايير العمليّة ، إذ هدف هذا السياق هو بالذات إجراء تغيير في الأنساق الاعتقاديّة و القصديّة و التقويميّة للناطقين و دفعهم إلى الانتهاض إلى العمل"[2].

و على هذا تكون الاستعارة " أدعى من الحقيقة لتحريك همّة المستمع إلى الاقتناع بها و الالتزام بقيمها "[3].

[1] طه عبد الرحمان : **اللسان و الميزان ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط1**، 1997، ص309

[2] طه عبد الرحمان : **اللسان و الميزان ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط**1، 1997، ص312

[3] نفس المصدر السابق : ص312

إذن جحاجيـــة الاســـتعارة تكمـــن في إحـــداث تغيـــير في الموقـــف العـــاطفي أو الفكـــري للمتلقـــي [1]، و هـــذا لا يـــتم إلاّ إذا دخلـــت في مقـــام تـــداولي وسياق تواصل و تفاعل حجاجي .

يقـــول الجـــاحظ في رســـالة (فصـــل مـــابين العـــداوة و الحســـد):" وحســـد الجاهـــل أهـــون شـــوكة وأذّل محنـــا مـــن حســـد العـــارف الفطـــن ؛لأنّ الحاســـد الجاهـــل يبتـــدر إلى الطعـــن علـــى الكتـــاب في أول وهلـــة يقـــرأ عليـــه ، مـــن قبـــل اســـتتمام قراءتـــه ورقـــة واحـــدة و الحاســـد العـــارف الـــذي فيـــه تقيّـــة ، معـــه مســـكة ، وبـــه طعـــم أو حيـــاة ، إذ أراد أن يغتـــال الكتـــاب و يحتـــال في إســـقاطه ، تصّـــفح أوراقـــه ووقـــف عنـــد حـــدوده و مفاصـــله وردّد فيـــه بصـــره، وراجـــع فكـــره ، وراجـــع عنـــد الســـيّد الـــذي بحضـــرته و جلســـائه ، مـــن التثبـــت و التـــأني حبالـــة يقتـــنص بهـــا قلـــوبهم ، وســـببا يســـترعي بـــه ألبـــابهم وســـلّما يرتقـــي بـــه إلى مـــراده مـــنهم ، وبســـاطا يفـــرش عليـــه مصـــارع الخـــدع فيـــوهم بـــه القصـــد إلى الحـــق و الاجتبـــاء لـــه . فربمـــا اســـترعى بهـــذه المخاتـــل و الخدع قلب السيد الحازم"

في هـذا المقطـع عقـد الجـاحظ مقارنـة بـين الحاسـد الجاهـل و الحاسـد العـارف ؛إذ حسـد الجاهـل أهـون شـوكة مـن حسـد العـارف ، لأنّ الحاسـد الجاهـل يبتـدر إلى الطعن على الكتاب في أوّل وهلة ، أي قبل أن يتم قراءة ورقة واحدة منه

[1] عمر أوكان : **اللغة و الخطاب ، أفريقيا الشرق ، الدر البيضاء** ، دط، 2001،ص 133

ومن ثمّ فإنّ طعنة على الكتاب لا يشكل خطرا على الكتاب و لا على صاحب الكتاب ؛ لأنّه لن يجد له آذانا صاغية ، و لا قلوبا واعية . أمّا الحاسد العارف فإنّه على العكس تماما من الحاسد الجاهل.

و هنا تكمن خطورته " إذا أراد أن يغتال الكتاب و يحتال في إسقاطه تصفّح أوراقه ووقف عند حدوده و مفاصله ، وردّد فيه بصره ، و راجع فكره

دائرة الحجاج:

أطراف الحجاج :

البعد النظري:

لا يختلف اثنان في أنّ أدب الرسائل بعامة هو حواريّ تتفاعل فيه أطراف التخاطب تفاعلا ديناميكيا منتجا . تلح البلاغة الجديدة (الحجاج) اليوم على الإصغاء إلى الأصوات المتحاورة في الرسائل بهدف النفاذ إلى صميم هذا الخطاب .و هذا ما أكده صالح بن رمضان بقوله :" بجمع الباحثون في أدب الرسائل عامّة أنّ هذا المجال الأدبيّ عالم حواري تظهر فيه آثارا لتفاعل التخاطبيّ كأتمّ ما يكون الظهور . و يذهبون إلى أنّ ولوج هذا العالم الحواريّ يقتضي أن يصغي الباحث إلى الأصوات المتحاورة في الرسائل ، ويرون أن هذا الإصغاء لا يكون نافذا إلى صميم هذا العالم ، ولا يفضي إلى فهم أسراره ما لم يأخذ الباحث بعين الاعتبار مقتضيات التّخاطب الرسائليّ و ما لم يتفطن إلى أنّ هذه الرسائل لم تكتب إلى قارئ ممكن بقدر ما كانت تعبّر عن سنن التخاطب الأدبي في عصور كتابتها [1].

يعرف أرسطو الخطابة «بأنّها الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع في أي موضوع كان »[2]

[1] صالح بن رمضان : **مجلة علامات في النقد ، النادي الأدبي الثقافي بجدة ، م7، ج28**، يونيه ، 1998، ص410

[2] أرسطو : الخطابة ، **تر: عبد الرحمان بدوي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد** ، ط2، 1986، ص29

و طرق الإقناع عند أرسطو تعتمد على ثلاثة أطراف هي

أولا: «أخلاق القائل»[1] أو مايسمى بحجة الإيتوس Ethos و ثانيا: «تصيير السامع في حالة نفسيّة ما»[2] أو ما يسمى بحجة الباتوس Pathos و ثالثا: «القول نفسه، من حيث إنّه يثبت أو يبدو أنّه يثبت»[3] أو مايسمى بحجة اللوجوس Logos.

إذن فأطراف الحجاج عند أرسطو ثلاثة ، زكل طرف يعد حجة فالخطيب يقنع بالأخلاق ، لأنّنا نشعر بالثقة فيما يقول ؛لهذا فإنّ الطيبة و الخلق الرفيع «أقوى عناصر الإقناع لديه»[4]. كما أنّ الإقناع يمكن أن يتم بواسطة المتلقين أنفسهم؛ إذ كان الخطاب مثيرا لمشاعرهم ومحركا لوجدانهم ، وذلك أنّ أحكامنا كمتلقين «حين نكون مسرورين ودودين ليست هي أحكامنا حين نكون مغمومينو معادين»[5].

و يتم الإقناع كذلك بالخطاب نفسه ، إذا أحسنّا بناءه و أشفعنا الآراء أو الأفكار التي نؤمن بها بالحجج المناسبة ، يقول أرسطو :"وأخيرا ؛فإنّ الإقناع يحدث عن الكلام نفسه ،إذا أثبتنا حقيقة أو شبه حقيقة بواسطة حجج مقنعة مناسبة للحالة المطلوبة.

[1] نفس المصدر السابق : ص29

[2] نفس المصدر السابق : ص29

[3] نفس المصدر السابق : ص30

[4] نفس المصدر السابق : ص30

[5] نفس المصدر السابق : ص30

إذن خلاصة بلاغة الإقناع عند أرسطو ، تقوم على أركان ثلاثة ، أمّا بلاغات القرن العشرين فقد قامت «في مجملها على بعث بلاغة أرسطو بوجوهها و أنواع حججها الثلاثة المذكورة[1]

وإذا كانت بلاغة بيرلمان قد قامت على التصور الأرسطي في كون العلاقة الحجاجية ، فإنّ بلاغة ميشال مايير تقوم على العناصر ذاتها مع تغيير طفيف أو أقل إضافة بسيطة تعد من وجهة نظره "تجاوزا للخطابة الأرسطية التي تدور أساسا حول الإستمالة و الإقناع".

و من هنا يقدم مايير تصورا وظيفيا لعناصر الحجاج تختزل العناصر الثلاثة عند أرسطو إلى عنصرين :الأول :«الإيتوس الأخلاق أو الصفات المرتبطة بالمتكلم و المخاطب»و الثاني :«العلاقة الثنائية التي تجمع بين المتكلم و المستمع و التي يحدّدها اللوجوس في الخطاب/الشكل».

وبهذا التصوير يكون مايير قد ألحق المخاطب بالمتكلم ،فهما معا يشكلان عنصرا واحدا و هو الأخلاق ،أمّا اللوجوس فقد عرفه إلى عنصرين :السؤال

و الجواب . كما أنّه وظف مفهومين أساسيين في عملية الحجاج هما : الضمنيّ و المصرّح به ،فالمصرّح به «هو ظاهرة السؤال أمّا ماهو ضمني فهو تللك الإمكانات المختلفة للإجابة عن السؤال الواحد».[1]

[1]محمد علي القارصي: البلاغة و الحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميّار، ضمن كتاب "أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم" ، دط ،دت ،ص399

فالحجاج عند مايير مرتبط بركنين متضافرين هما:«ركن البلاغة بمختلف وجوهها خاصة المجاز ،و ركن العلاقات الخطابية القائمة على مبدأ أساسي هو إلغاء الاختلاف و تأكيد الاتفاق أو العكس».و هذا يدل على أن دور الحجاج هو استغلال مافي الكلام من طاقة و ثراء، و أنّ الكلام أيّ كلام ،«و هو يطرح الأسئلة لا تغيب عنه الأجوبة (المرتقبة) وهذا مطمئن لكنه مخادع أيضا».

وهذا يعني أنّ الكلام في نظر مايير هو جواب مالم ينخرط في جدليّة المساءلة، وأنّ الأسئلة مبنيّة على الأجوبة المحتملة أو المرتقبة .[2]

و في الأخير نخلص إلى أنّ الحجاج في الخطاب يتأسس على الأطراف المتحاورة فيه؛ إذ بتحاورها و تفاعلها في مقام التخاطب يتولّد الخطاب الحجاجيّ، الذي يتشكل من أصوات (الذوات المتحاجة) و الجنس الذي يحكم إطاره، و يضبط مسار الخطاب من أن يتجاوز الشكل الذي انبنى على نحوه الخطاب. ثمة مسائل في هذه القضية في المعالجة التحليلية لنصوص من رسائل الجاحظ ،هذه المسائل تتعلق بهوية الأطراف المتحاجّة في الخطاب و خصائصها، ودورها في تشكيل الخطاب و بنائه سواء كانت هذه الأطراف رئيسيّة أو ثانويّة، و سواء كانت داخل النّص أو خارجه. و قد ألمحنا آنفا بدور هذه الأطراف في بناء الخطاب الحجاجيّ بصورة مجملة، أمّا هنا فسنعمد إلى تفصيله ليسهل فيما بعد استثمار ما جاء فيه في تحليل خطاب الجاحظ.

[1] نفس المصدر السابق : ص399

[2] نفس المصدر السابق : ص399

الطرف الأوّل :المتكلّم «خطيبا كان أو متكلما»

النموذج الذي انبنت عليه نظريات الجحاج قديما هو نموذج الخطبة؛ إذ نجد شخصا واحدا يلقي على جمهور ما خطابا فيه إقناع برأيه أو موقفه من موضوع ما«فهذه النظريات تنطلق من باث واحد و متلقّ جمع وإن تعامله عاى أنّه،أي جمهور، شخص واحد »[1].و هذا يعني أنّ الجمهور في الخطابة دور سلبي نوعا ما ،فإمّا أن يقبل ما جاء به كلّه أو بعضه أو يرفضه ، أما الحجاج فيصدر كلّه عن الخطيب، و الخطيب مطلوب منه أن يراعي أفق انتظار الجمهور وآراءهم و مشاعرهم «و في نفس الوقت يحاول الخطيب أن يعرض نفسه أمامهم في أحسن صورة"إيطوس" ليزيد كلامه قدرة على الإقناع فالشخص المحترم الجذاب يصدّق أكثر من الشخص المحتقر غير الجذاب»[2].

دور المتكلم مهم في إنجاح عمليّة التخاطب ؛إذ عليه أن يكون واضحا، في عرضه للقضيّة، وعليه " إقامة الخطط و اختيار المناسب منها اعتمادا على ما يقوم به من حسابات و ما يفترضه من فرضيات"[3]بمعنى على المتكلم أن يبني كلامه للمخاطب بناء على تقديره "لنية المخاطب من السؤال، و ما عسى أن يسأل عنه المخاطب و يتوقعه و ينتظره"[4]. و كذلك عليه أن يعي مقامات المخاطبين،

---

[1]كورنيليان فون راد صكوحي :مفهوم اللغة في كتاب الحيوان للجاحظ و الاحتجاج بها، جامعة منوبة ، كلية الآداب ، تونس منوبة ،أطروحة دكتوراه، باشراف حمادي صمود " مخطوط" ، دط، 2003، ص50

[2] نفس المصدر السابق: ص50

[3] محمد الشاوش :**أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية،تأسيس نحو النص،ج2**، دط، دت،ص905

[4] نفس المصدر السابق: ص905

ومستوياتهم الفكرية و الثّقافيّة و السّياسيّة ،و أن يظهر قدرا كافيا من التّواضع و الاحترام للمخاطب إن أراد التّأثير فيه و إقناعه بفكرته ،أمّا إذا أراد إغضابه وتوسيع الهوّة بينه وبين المخاطب، فإنّه يتبع أسلوب المخاشنة، و عدم التّواضع، و هذه الأمور يقدرها العارض بحسب الظروف و المقامات، و بحسب ما يرغب في الحقيقة من أهداف .علما أنّ أسلوب المخاشنة و العنف يّعد انزلاقا عن الخطاب الحجاجيّ؛لأنّ الخطاب الحجاجيّ يهدف إلى الإقناع، أو قل التقريب بين المتخاطبين لا إلى التنفير والإبعاد ، وكلّما غاص المتكلم (العارض)في أعماق المخاطبين، ودخل في عالمهم النفسي و الاجتماعي و الثقافي ، وصنّفهم إلى فئات بحسب طبائعهم الشّكليّة واتجاهاتهم الفكريّة وأنماطهم السلوكيّة والثّقافية والحضارية كان أقدر على المساهمة " في بناء إطار شامل يضمن سلامة الطرح وتأثير الخطاب، كما أنّه من جهة ثانية يهيّء لقيام (حوار ثقافي) ناجع هو العلامة الثّقافية المثلى لكل حجاج ناجح"[1]

و على المتكلم (العارض)أن يكسب ثقة المخاطب حتى يبدي من التعاون و التجاوب ما يسمح بنمو الخطاب من جهة، و نمو التأثّر عنده من جهة ثانية؛ حتى يصل إلى درجة الاقتناع، و من ثمّ درجة الفعل، و تّعدّ درجة الفعل أهمّ غاية يسعى إلى تحقيقها الحجاج؛ بمعنى أن يقوم المقتنع بممارسة ما اقتنع بع عمليّا في سلوكه ومجمل حياته. و لكي يصل المتكلّم بالمخاطب إلى حالة النفاذ

[1] محمد **سالم ولد محمد الأمين: مفهوم الحجاج عند بيرلمان و تطوّره في البلاغة المعاصرة ، عالم الفكر ، الكويت ، العدد ،م2،3دط، 28يناير . مارس 2000، ص72**

أو الفعل عليه؛ أن يحكم القول الحجاجي "بما ينسجم مع المقام و تتطلبه المقاصد النص وطموحات الخطيب المتكلّم أو الكاتب.

إذن المتكلم (العارض) مسؤول مسؤولية مباشرة عن نجاعة الخطاب الحجاجيّ، بوصفه صاحب أطروحة أو رؤية يريد أن يقنع بها المعنيّين بالخطاب أو يزيد في إقناعهم ومن ثمّ يغيّر مواقفهم السابقة نحوها.

الطرف الثاني : المتلقي «مستمعا كان أو قارئا»

للمتلقي دور في تشكيل الخطاب قبل حدوثه ،ودوره لا يقل أهميّة عن دور المتلقي في بناء الخطاب الحجاجيّو تشكيله، وقد بيّنّا طرفا من هذا الدور في سياق عرضنا لدور المتكلّم؛ إذ أنّ دور المتلقيّ ليس دورا هامشيا، أو محايدا تنحصر مهمّته في التّلقي والاستيعاب فقط، وإنّما له "دور فعال بما له من تأثير في توجيه الكلام صياغة وقصدا"[1]. فدوره أساسي سواء على مستوى الخطاب وتشكيله، أو على مستوى تأويل الخطاب وإنشاء المعنى.على أن ذلك لا يتم إلا في دائرة مبدأ التعاون ومبدأ التعاون والتضامن بين المتخاطبين أمر لا بد منه ، إذ به ينمو الخطاب و يتشكّل، وبه يتحقق تأثيره ونجاعته، أمّا إذا انعدم التّعاون بين المتخاطبين فإنّ الخطاب مصيره إلى الفشل والإخفاق، أو أنّه لا يحقق

[1] محمد سالم **ولد محمد الأمين: مفهوم الحجاج عند بيرلمان و تطوّره في البلاغة المعاصرة ، عالم الفكر ، الكويت ، العدد ،م2،3دط، 28يناير . مارس 20 00، ص71**

التواصل المنشود، وربّما زاد الهوّة بين المتخاطبين، بيد أنّGrice يرى أنّ" كل عملية تخاطب تستجيب لمبدأ التّعاون بين المتكلّم و المخاطب".

و الحقيقة أنّ المتلقين بوصفهم معنيّين بالخطاب يمكن تقسيمهم إلى نوعين: متلق داخلي ومتلق خارجي،أمّا المتلقي الداخلي فنعني به المتلّقي الذي نصّ عليه الملقي في الخطاب، وذكره باسمه أو بلقبه أو كنتيته

أو ضميره ، كما هو في حكايات كليلة ودمنة ، وكما هو في مفاضلة الجاحظ بين الديك والكلب ، سواء كان المتلقي واقعيا أم خياليا،فإنّ دور المتلقّي الدّاخلي في تشكيل الخطاب الحجاجيّ و بنائه أمر أقرته الدراسات اللّسانية الحديثة اليوم؛ لأنّ الخطاب لا يقوم على طرف واحد فقط، وإنّما على طرفين ، منتج ومتلق وكلاهما له دوره الفاعل في بناء الخطاب فهو صادر بمساعدة المتلقي الذي تحضر صورته بكل تجلياتها الفكريّة والثقافيّة والخلقيّة والنفسيّة في ذهن المنتج وهو يعد خطابه.وعلى المتلقي أن يكون شخصا واحدا يحمل ثقافة جماعة أو أمّة، و المتلقي الداخلي قد يتحول من دور المتلقي إلى دور الملقي .

أمّا المتلقي الخارجي،فنعني به المتّلقي خارج النّص، "إنّه بعبارة الحجاجين الجمهور الكوني معنيا بالحجاج من خلال الجمهور الضيّق

أو الخاص".و يمكن تصنيفه إلى صنفين: متلق معنيّ بالخطاب بصورة مباشرة،ومتلق غير معني بالخطاب، فإذا كان معنيا به فإنّه يؤثر بنا في القول ؛لأنّ هويّته واضحة لدى المنتج ، أمّا إذا كان غير معني بالخطاب

وليس له في ذهن المنتج صورة معيّنة، فإنّه لا يؤثر في صناعة القول. إذن فالمتلقي الخارجي قد تكون هويّته واضحة في ذهن المتكلم ،مؤثرة في صناعة القول.

الطرف الثالث: شروط الجنس الأدبي ومقتضياته

لا يختلف اثنان في أنّ قواعد الجنس الأدبيّ لها وجود سابق على المبدع،و بالتالي فإنّ اختياره لجنس من الأجناس الأدبيّة يفرضه المقام الذي يوجه المبدع في أن يعبّر أن أفكاره بهذا الجنس أوذاك، أمّا القدرة اللغويّة فهي تقدّم الأساليب اللغويّة التي يستعين بها في التعبير؛بيد أنّ الملّكة التواصلية " تتمثل في إجراء الكلام إجراء ناجعا في مقام بعينه"[1]. ومن أهم عناصر الملكة التواصليّة الوعي الأجناسي، الذي يجعل من المتكلم يختار وضعا تلفظيا معينا يتناسب و مقام القول؛ لأنّ لكلّ جنس كتابيّ شروط قول تفرض اختيار أساليب دون أخرى بوصفها أكثر ملائمة للجنس الذي تم اختياره. فكما أن للجنس الأدبيّ قواعده وشروطه التي لا يمكن للمنتج تجاوزها، فكذلك لكل جنس أدبي أساليبه التي تنسجم معه، وتكون أكثر فاعلية فيه من غيرها، ومن هنا فإنّ بأنّ الاعتقاد السائد بأنّ الجنس يتكون من سمات شكليّة مخصوصة اعتقاد يشوبه الشك من جهة المقصود من اللفظة "(الشكل)أهيّ العناصر

[1] عبد الله صولة : **الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، منشورات كلية الآداب بمنوبة ، سلسلة لسانيات** ،م13، جامعة منوبة ، تونس ،ج1، دط،2001، ص54

الشكليّة الخارجيّة، أم بالأحرى الشكل الداخلي ، أي البناء المخصوص أم الطريقة المعيّنة في بناء الأثر"[1]

والحقيقة أن كل أثر أدبيّ ينتمي إلى جنس، وكلّ جنس يفترض أفق انتظار،أي "مجموعة من القواعد السابقة الوجود لتوجيه فهم القارئ (الجمهور) وتمكينه من تقبل تقييميّ"[2]

الحجاج يتحرك فيه بناء على تأثيرات هذه الأطراف، وما تفرضه من أساليب وقواعد تخاطب تنتظم على أساسها الحجج وتتفاعل بصورة ديناميكية مؤثرة؛ تؤدّي في نهاية الأمر إلى التسليم بمشروعية الخطاب أولا، وإلى تقبّل قراءته أو التعاطي معه ثانيا، وإلى الإنسلاك في دورته الحجاجية ثالثا، وهي أمور تأتي مرتّبة في وعي المتلقي كاشفة عن مدى صدق الخطاب في تمثّل مقاصده واسترسال حجاجة، ولعلّ تحليل مقاطع من رسائل الجاحظ بناء على المعطيات النظريّة السابقة يكشف لنا هذه الحقيقة وغيرها من الحقائق ذات الصّلة.

البعد الإجرائي:

قال الجاحظ في رسالته إلى أبي عبد الله بن أبي داود يخبره فيها بكتاب الفتيا:

---

[1] محمد الشاوش :**أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية،تأسيس نحو النص**،ج2، دط، دت،ص20

2هانس روبرت ياوس: **أدب العصور الوسطى ونظرية الأجناس ،ضمن كتاب :نظرية الأجناس الأدبية، تعريب** عبد العزيز شبيل، النادي الأدبي الثقافي بجدة،ط1، 1994، ص55

بسم الله الرحمن الرحيم

أطال الله بقاءك وأعزّك ، وأصلح على يديك.

كان يقال: السلطان سوق، وإنّما يجلب إلى كلّ سوق ما ينفق فيها .

وأنت أيّها العالم معلّم الخير طالبه، والداعي إليه، وحامل الناس عليه من موضع السلطان بأرفع المكان؛ لأن من جعل الله إليه مظالم العباد،ومصالح البلاد، وجعله.

متصفّحا على القضاة، وعتادا على الولاة، ثم جعله الله منزع العلماء، ومفزع الضعفاء،ومستراح الحكماء، فقد وضعه بأرفع المنازل،وأسنى المراتب. وقد قال أهل العلم،وأهلا التجربة والفهم :"لمّا يزع الله بالسلطان أكثر ممّا يزع بالقرآن".

وقد كان يقال: شيئان متباينان، إن صلح أحدهما صلح الآخر: السلطان والرعيّة.

فقط صلح السلطان، و على الله تمام النّعمة في صلاح الرعيّة، حتى يحقّق الأثر، وتصدق الشهادة في الخبر.

فنسأل الذي منحك حسن الرعاية أن يمنحنا حسن الطاعة.

وقد نظرت في التجارة التي اخترتها، والسوق التي أقمتها، فلم أر فيها شيئا ينفق إلاّ العلم والبيان عنه، وإلاّ العمل الصالح والدعاء إليه، وإلاّ التعاون على مصلحة العباد، ونفي الفساد عن البلاد.

وقد ألح الجاحظ على مسألة التواضع في مواضع كثيرة من هذه الرسالة[1] لكيلا يشعر المرسل إليه . وهو عالم عارف كذلك .

بأنّه يتعالى عليه، فهو يتودّد إليه بين الفنية و الأخرى، و يخفض جناح التذلل له؛ بغية إشعاره بأنّه رغم أنّه يكتب إليه كتابا في الفتيا لا يقل علما عنه ،و لربما فاقه في ذلك ؛ كلّ ذلك كي لا تقع الرسالة من المتقبل موقعا ثقيلا يؤدي إلى رفضها وعدم الاستجابة إلى مقاصدها؛ لأنّ "الرسائل المتبادلة بين الكتّاب ، بوجه خاص ، تعبّر عن شدّة إحساس أصحابها بالمخاطب الخاص[2].

إذن فالرسالة تشي في كثير من مفاصلها بصورة المرسل، وهي صورة تحدّد شكلها أو قل ملامحها الذات المتكلمة بما ينسجم وصورة الذات المتلقية من جهة، وموضوع الرسالة من جهة ثانية، ومقام التخاطب من جهة ثالثة ، وكلّما كانت درجة الانسجام و التلاؤم بين هذه العناصر قويّة كان الخطاب أكثر تأثيرا وأعظم

إقناعا. لهذا فإنّ وظيفة ارسالة وظيفة إقناعية بالدرجة الأولى ؛ إذ كان بإمكان الجاحظ أن يرسل إليه كتاب الفتيا هدية، لكن الجاحظ راعى المقام ،لأن المرسل إليه قاض، و القاضي مؤهّل ، ومن ثم فإنّ إرسال كتاب الفتيا إليه قد يحمل دلالات مجففة في حقّه، فتذهب الظنون به مذاهب شتى، قد تفضي إلى العداوة و البغضاء بدلا من المحبّة و الإخاء، و من هنا ادرّاك الجاحظ أمر وأرفق مع

[1] ينظر:الجاحظ : رسائل الجاحظ ،رسالة الفتيا ،تح :عبد السلام محمد هارون ،دار الجيل ، بيروت م1،ج1، ط1، 1998، ص 317

[2] صالح بن رمضان: **الرسائل الأدبية من القرن الثالث إلى القرن الخامس للهجرة ، د**ط، دت ، ص147

الكتاب رسالة توطئ لقبول الهدية ، وتبدّد الشكوك و الظنون التي قد تحصل منها، وترسم له منهج قراءتها ، أو قل تلقيها.

إذن دور المخاطب في بناء هذه الرسالة دور فعال ،فهو شريك حقيقي ؛ إذ استطاع بما يملك من خصائص علميّة واجتماعية وسياسية أن يؤثر في أسلوب الرسالة، وأن يوجّه مضامينها الوجهة التي تليق بهاولا تخدش كبرياءه ومشاعره،ورغم أن من كتب الرسالة طرف واحد.

مصداقية النتائج:

الحديث عن مصداقيّة نتائج الحجاج يقتضي منّا التفريق بين اللغة الصوريّة واللغة الطبيعية، إذ سادت في النصف الأوّل من القرن العشرين اللغة الصوريّة أو ما يسمى بالمنطق الرياضي الذي أسّسه فريجة منذ عام 1879م[1]. فاللغة عند أصحاب النزعة المنطقية " مجال تتفاعل فيه الأدّلة كما تتفاعل في النسق المنطقي .أي وفق قوانين صوريّة صارمة"[2]، أمّا الأدلّة في اللغة الطبيعية فهي " عبارة عن شواهد إشتباهية ، لا تسمح إلاّ باستدلالات احتمالية ترجيحية ، ولا يصح اعتمادها في استدلال منطقي صوري "[3].

[1] الراضي رشيد: **الحجاجيات اللسانيّة عند أنسكومبر وديركرو، عالم الفكر ، الكويت** ، العدد1، م34، دط، يوليو . سبتمبر 2005 ، ص240

[2] نفس المصدر السابق:ص 218

[3] نفس المصدر السابق: ص218

بيد أن هذه النظرية قد بدأت في الانحسار "مع بداية النّصف الثاني من القرن العشرين ، مع انتشار أطروحات التداوليين التي تؤكد أهمية هذه الخاصية الاشتباهية و الالتباسية للخطاب الطبيعي .

ومعلوم أنّ نتائج الاستدلال البرهاني حتمية ضرورية ، أمّا الاستدلال الحجاجي فنتيجته ظنية احتمالية ، ولمزيد من التوضيح ما عليك إلاّ أن تتأمل المثالين التاليين:

الأوّل: كل إنسان فان

زيد إنسان

زيد فان

نلاحظ أن النتيجة في هذا القياس ضروريّة حتميّة ، إذ العلاقة بين المقدمتين علاقة استلزام منطقي، فالنتيجة (زيد فان) تستلزم أن يكون زيد إنسانا ، فالنتيجة هنا يقينية وصادقة لأنّ المقدمتين صادقتان ، لهذا فإنّ قوّته ذاتيّة لا تحتاج إلى دعم أو تقوية خارجيّة، " ومن ثم ، لا يقاس قيمة البرهان برأي أو موقف الآخر منه و تقييمه له، بل قيمته مباطنة له"[1].

منطق اللغة الطبيعيّة يختلف عن منطق اللغة الصورية، فهذا الذي نجده في اللغة الطبيعية هو الحجاج ونتائجه احتمالية ، و ما نجده في اللغة الصوريّة هو البرهان و نتائجه يقينيّة ، وهما (البرهان و الحجاج) و إن كان

[1] الراضي رشيد: الحجاجيات اللسانيّة عند أنسكومبر وديركرو، عالم الفكر ، الكويت ، العدد1، م34، دط، يوليو . سبتمبر 2005 ، ص240

يجمعهما مفهوم الاستدلال ؛ لأنّهما مختلفان في طبيعتهما وميدان اشتغالهما ، ونتائجهما.

و لهذا فإنّ صدق النتائج في ترسل الجاحظ لا يقاس بصدق القضايا أو كذبها كما هو في البرهان، و إنّما يقاس بمدى تأثيره في المتلقي ودفعه نحو الفعل من غير استلاب لحريّته وإراداته، و من غير إلزام له أو اضطرار بل بالنّهوض بالخطاب حجاجيا عبر تمثل استراتيجياته و تقنياته بما يحقق اقتناع المخاطب أو يزيد في درجة ذلك الاقتناع.

الخاتمة

إلى هنا يكون هذا البحث قد استوفى بعون الله وفضله فصوله ومباحثه وبعد أن رصدت دراسة نظرية الحجاج هذه الخلاصة لأهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال الفصل التمهيدي والجانب النظري .

ـ أن مصطلح الحجاج هو عبارة عن مسلمات خطابية قابلة للرفض أو القبول مدعمة بحجج أو براهين تكون موجهة للغير بقصد التأثير و الإقناع .

ـ كما أن للحجاج أنواع يختلف كل نوع عن الآخر سواء في الشكل أو المضمون.

- اختلاف الباحثين في تحديد مفهوم الرابط والعامل الحجاجي .

ـ للرابط والعامل الحجاجي دور كبير بأنه لا يحجب المحتوى الخبري بل يزيده بروزا ووضوحا.

- يقوم العامل بتكثيف المكونات الحجاجية داخل الخطاب .

ـ وظيفة الروابط الحجاجية ،تقوم بعملية الربط بين فعلين أو دلاليين أو أكثر أو بنية النتيجة المقصودة والحجج المؤدية إليها.

أول ظهور للحجاج عند السوفسطائيين خلال القرن الخامس ق م .

ـ للحجاج مجالات كثيرة تنوعت واختلفت بتنوع الخلفيات المعرفية المنبثقة منها : المجال البلاغي ، المجال اللغوي ،الإستعارة الحجاجية .

ـ تهدف نظرية الحجاج اللغوي أو اللساني اكتشاف منطق اللغة أي القواعد الداخلية للخطاب ، والمتحكمة في تسلسل الأقوال .

يتمثل الحجاج في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب.

ـ ارتباط نظرية الحجاج الخطابي بمجموعة من المنظرين والدارسين الحجاجيين .

ارتبط الحجاج التداولي بنظرية أفعال الكلام و الاستلزام الحواري.

ـ تهدف المقاربة الحجاجية إلى تحليل النصوص أو الخطابات التي تتضمن أبعاد حجاجية مباشرة أو غير مباشرة .

ـ يعتمد التحليل الحجاجي على مفاهيم أرسطو مثل : القياس ، المماثلة والاستدلال .

ـ تقع حياة الجاحظ كما تقع حياة كثير من الشخصيات المعاصرة له من أهل البصرة ، في العهدي البصري والبغدادي، كان شديد الفهم في طور التحصيل والدرس.

ـ يعد الجاحظ أكبر كاتب ظهر في العصر العباسي ، كان الثمرة الناضجة لكل الجهود العقلية الخصبة التي نهض بها المعتزلة في عصره وقبل عصره.

ـ كما أنه كان يتميز بالذكاء وسرعة الخاطر والحفظ ، كما أنه إستغنى عن الوصف ، فقد كان لا يشفع بمن يعرف ،لإعتقاده أنّ الشفاعة شهادة زور، وصعب عليه أن يشهد الزور.

ـ أصبح له مذهبا مستقلا وطريقة خاصة في الإعتزال ، عرفت ب" الجاحظية " ؛ وكان لها أتباعه وأشياعها .

ـ منح الله قدرة نادرة وصبرا عجيبا على الإبداع والإبتكار والتأليف في شتى العلوم والفنون .

ـ تأليف الجاحظ كان عن رغبة وإقناع ، وكثيرا ما كان يذكر الباعث الذي حمله على تأليف كتبه ، فإنه كان حريصا في معظم كتبه على ارشاد الناس إلى طريق الدين الصحيح ، وتعليمهم الفضائل ، فيعرفهم بالإسلام عن طريقي العقل والنقل

ـ أشهر من اتخذ الكلام منهجا في التأثير والإقناع هم المعتزلة الذين دافعوا عن الإسلام .

ـ نجاح الجاحظ في بث عقيدة الإعتزال في تضاعيف كلامه ، وتمرير فكره وقناعاته عن طريق جدله وحجاجه ، حتى أنه عدّ أشهر المتكلمين في عصره.

ـ ربط البلاغة بالإقناع من خلال العناية الخاصة التي أفردها لوظيفتي الإفهام والإقناع في القول .

– البلاغة تعد وسيلة للتأثير على المستمع .

ـ يشمل مفهوم الصورة الحجاجية ، التشبيه والإستعارة و المجاز المرسل والكناية والرمز .

ـ الصورة الحجاجية نشاط تداولي تلح في تركيبها المجازي أو الاستبدالي على حضور متزامن لأطراف التخاطب والمقام في الحركة التفاعلية .

ـ كل صورة من صور الجاحظ في الرسائل نجدها تنتمي في مادتها إلى جانب من الجوانب الحياتية ، أي أنّ الصورة عند الجاحظ مستقاة من الواقع .

ـ استثمار الجاحظ في رسائله أشكالا من الصور الحجاجية ، بعضها من باب التمثيل لا الإستقصاء .

ـ إلحاح البلاغة الجديدة (الحجاج) اليوم على الإصغاء إلى الأصوات المتحاورة في الرسائل بهدف النفاذ إلى صميم هذا الخطاب .

ـ أطراف الحجاج عند أرسطو ثلاثة ، وكل طرف يعد حجة ، فالخطيب يقنع بالأخلاق ، كما أنّ يمكن أن يتم بواسطة المتلقين أنفسهم ،إذا كان الخطيب مثيرا لمشاعرهم .

ـ دور المخاطب في بناء الرسالة دور فعال ، إذ أنه استطاع بما يملك من خصائص علمية واجتماعية وسياسية أن يؤثر في أسلوب الرسالة .

ـ مصداقية النتائج الحجاج يقتضي بين اللغة الصوريّة واللغة الطبيعية ، والنتيجة تكون ضرورية حتمية .

ـ صدق نتائج رسائل الجاحظ لا يقاس بصدق القضايا أو كذبها كما هو في البرهان ، وإنّما يقاس بمدى تأثيره في المتلقي .

الشخصية الجاحظية معقدة نشأت في جو مشحون بالاختلاف ، وكانت وليدة مجالس المتكلمين ، وتلاحق الثقافة العربية مع غيرها من الثقافات .

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر و والمراجع باللغة العربية:

القرآن الكريم

1) ابن فارس : معجم مقاييس اللغة،تح عبد السلام هارون، دار النشر القاهرة ،د ط، ج2، 1399 هـ ،1979 م.

2). ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ، الناشر دار أحياء التراث العربي ، بيروت، لبنان ط4، دت.

3) ابن منظور ،جمال الدين محمد بن مكرم بن علي : لسان العرب ،دار صادر، بيروت ، ط3، 1414هـ ، 1993م.

4) ابن النديم : الفهرست ، الرحمانية بالقاهرة ، دط ، 1348هـ .

5) أبو بكر العزاوي: اللغة و الحجاج ، منتديات صور الأزبكية ،الدار البيضاء، ط1، 1426هـ، 2006م.

6) باتريك شاردو- دومينيك منغنو : معجم تحليل الخطاب ، تر : عبد القاهر المهيري - حمادي صمود : مراجعة صلاح الدين الشريف، تونس ، دط، 2008.

7) بدوي طبانة : البيان العربي ، دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعة الرسالة ، ط3، 1381هـ ، 1962م

رسائل الجاحظ :

1) رسالة الفتيا ، تح :عبد السلام محمد هارون، دار الجيل ، بيروت ، م1، ج1، ط1، 1998م

2) رسائل الجاحظ ، تح: عبد السلام محمد هارن ، دار الجليل ، بيروت ، ط1، 1991م، م2، ج3، حجج النبوة

3) رسائل الجاحظ ، رسالة صناعة الكلام ، تح : عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت م2، ج4، ط1، 1991م:

4) رسائل الجاحظ ، رسالة التربيع و التدوير ، تح :عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت ، م2، ج4، ط1، 1991م:

5) رسائل الجاحظ ، رسالة القيان ، تح :عبد السلام محمد هارون، دار الجيل ، بيروت م1، ج2، ط1،1998

6) رسائل الجاحظ ، تح: عبد السلام محمد هارن ، دار الجليل ، بيروت ، ط1، 1991م، م2، ج3، حجج النبوة

7) رسائل الجاحظ ، رسالة صناعة الكلام ، تح : عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت ،م2، ج4، ط1، 1991.

8) رسائل الجاحظ ، رسالة التربيع و التدوير ، تح :عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت ، م2، ج4، ط1،1991 .

9) رسائل الجاحظ ، رسالة القيان ، تح :عبد السلام محمد هارون، دار الجيل ، بيروت م1، ج2، ط1،1998

كتب الجاحظ:

1) البخلاء ، دار صادر بيروت ، دط ، دت ،

2) البيان و التبيين ،تح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط7، 1998م ، ج2، ط1987،1م .

3) الحيوان ، تح : يحي الشامي ، دار ومكتبته و الهلال ، بيروت ، دط، 2003، ج3.

4) كتاب فصل مابين العداوة و الحسد ، تح :عبد السلام محمد هارون، دار الجيل ، بيروت م1، ج1، ط1، 1998م.

5) جابر عصفور : الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط3، 1992م

6)جبر جميل : الجاحظ في حياته وأدبه وفكره ، الشركة العالمية للكتاب ، بيروت، ط4، دت-

7)الحافظ بن حجر : لسان الميزان ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ط4، 1390هـ ، 1981م

8)حبيب أعراب : الحجاج و الاستدلال " عناصر استقصاء نظري" ، عالم الفكر ، العدد1، م30، دط، يوليو/ سبتمبر 2001م.

9)حمادي صمود : التفكير البلاغي عند العرب أسسه و تطوره إلى القرن السادس، سلسلة الآداب ، جامعة الآداب و الفنون و العلوم الإنسانية ، منشورات كلية الآداب بمنوبة ، ط2، 1994م.

10)الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، دط، دت ج12

11)خليفة بوجادي : في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس القديم ، بيت الحكمة للنشر و التوزيع ، ط1، 2009م

12)الرازي : مختار الصحاح ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1967م

13)الراضي رشيد : الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديركرو ، عالم الفكر ، الكويت ، العدد1، م34، دط ، يوليو/ سبتمبر

14)الزبيدي : محمد مرتضى الحسيني : تاج العروس من جواهر القاموس ، تح : مصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت ، دط، 1969 2005م

15)روبير بلاشي : المنطق وتاريخه من أرسطو حتى راسل ،تر: خليل أحمد خليل، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر المؤسسة الجامعية للدراسات ، ط2، لبنان، 2002 .

16)سعيد الحنصالي : الاستعارات و الشعر العربي الحديث ، دار توبقال، الدار البيضاء ، ط1، 2005.

17)سعيد الدين التفتازاني : كتاب المطول في شرح تلخيص المفتاح ، المكتبة الأزهرية للتراث ، دط، 1330هـ

18)شوقي المصطفى : المجاز و الحجاج في درس الفلسفة بين الكلمة و الصورة ، دار الثقافة الدار البيضاء ، ط1، 2005م

19)الرسائل الأدبية من القرن الثالث إلى القرن الخامس للهجرة، دط ، دت ، ص147.

20)مجلة العلامات في النقد ، النادي الأدبي الثقافي بجدة ، م7، ج28، يونيه ، 1998م.

21)صلاح فضل : علم الأسلوب مبادئه ة إجراءاته ، مؤسسة مختار (دار عالم المعرفة) القاهرة ، دط، 1992م

22)طه الحاجري : الجاحظ حياته وآثاره ، دار المعارف بمصر ، مكتبة لسان العرب ، دط ، دت .

23)عبد الرحمان طه: اللسان و الميزان أو التكثر العقلي، المركز الثقافي العربي، بيروت ط1، 1998م. . فوزي السيّد عبد ربه : المقاييس البلاغية عند الجاحظ ، مكتبة الأنجلو مصرية ، مطبعة أبناء وهبه حسان ، دط ،2005م

24)عبد القاهر الجرجاني: وأسرار البلاغة ، تح : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني، القاهرة ، وجدة ، ط1، 1991م

25)عبد اللطيف عادل : بلاغة الإقناع في المناظرة ، منشورات ضفاف ، دار الأمان الرباط ، ط1، 1434هـ ، 2013م

26)عبد الله صولة : الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، منشورات كلية الآداب بمنوبة ، سلسلة لسانيات ، م3، جامعة منوبة ، تونس ، دط، 2001

27)علي محمد علي سليمان :كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج (رسائله نموذجا) المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، ط1، 2010م.

28)عمر أوكان : اللغة و الخطاب ، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، دط، 2001

29)محمد جمال باروت: الجاحظ مؤسس البيان العربي ، الأهالي للطباعة و النشر دمشق ، ط1، 2001م ،

30)محمد سالم الأمين الطلبة : الحجاج في البلاغة المعاصرة ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط1، 2008.

31)محمد سالم ولد محمد الأمين : مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوّره في البلاغة المعاصرة ، عالم الفكر ، الكويت ، م2، 3، دط ، 28 يناير . مارس 2000.

32) محمد طروس : النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية واللسانية دار الثقافة ، ط1، 2005م2003

33)**محمد العمري** : البلاغة العربية وأصولها و امتداداتها ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء بيروت ، دط ، 1999

34)المقام الخطابي والمقام الشعري في الدرس البلاغي ، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية ، العدد 05 خريف / شتاء ، دط، 1991م.

35) محمد كرد علي : أمراء البيان ، لجنة التأليف و الترجمة و التشر ، ط1، 1355هـ، 1938م هانس روبرت ياوس : أدب العصور الوسطى ونظرية الأجناس ، ضمن كتاب: نظرية الأجناس الأدبية ، تعريب عبد العزيز شبيل ، النادي الأدبي الثقافي بجدة ، ط1، 1994م.

37)ونظرية الأجناس ، ضمن كتاب: نظرية الأجناس الأدبية ، تعريب عبد العزيز شبيل ، النادي الأدبي الثقافي بجدة ، ط1، 1994م .

38)الوسطى ونظرية الأجناس ، ضمن كتاب: نظرية الأجناس الأدبية ، تعريب عبد العزيز شبيل ، النادي الأدبي الثقافي بجدة ، ط1، 1994م ،

38)هنريش بليث : البلاغة و الأسلوبية ، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، تر: محمد العمري ، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، دط، 1999م ،

39)وليد قصاب : التراث النقدي و البلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري ، دار الثقافة ، الدوحة ، دط ، 1985.

40)الولي محمد : الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي و النقدي ، المركز الثقافي العربي ، الدار لبيضاء ، ط1، 1990

المجلات ورسائل الأطروحات:

1) أبو بكر العزاوي:البنية الحجاجية للخطاب الحجاجي، سورة الأعلى نموذجا،مجلة المشكاة، العدد19،وجدة ،1994.

2) أرحيلة عباس: الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين إلى حدود القرن الثامن الهجري، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، سلسلة رسائل وأطروحات،الرقم 40، مطبعة النجاح الجديدة ،الدار البيضاء،ط1، 1999.

3) آمنة البنغلي:الاقناع الأمثل للتواصل والحوار، نماذج من القرآن والحديث، مجلة التراث العربي،العدد79، 23 مارس2003، دمشق.

4)هشام الريفي: الحجاج عند أرسطو ، إشراف حمادي صمود ،جامعة الأدب والفنون والعلوم الإنسانية ،تونس1، كلية الآداب منوبة ،فريق البحث في البلاغة والحجاج ،سلسلة الآداب ، مجلد39، 1998م.

5)عبد السلام بوفار: الروابط والعوامل الحجاجية في رسائل الجاحظ ، إشراف د. ذهيبة حمو الحاج جامعة مولود معمري ،تيزي وزو ، كلية الآداب واللغات ، قسم اللغة العربية وآدابها ،مذكرة لنيل شهادة الماجستر ،2016م-2017م.

6)عطاالله محمد :الإقناع في الخطاب الحجاجي (مقاربة لرسائل الإقناع في عيون البصائر)دار الذهب الأسود، حاسي مسعود ورقلة،ط1، 2013م.

7)حمداة سليم :أشكال التواصل في التراث البلاغي العربي ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير،جامعة من الحاج لخضر ،باتنة 2008م-2009م.

المراجع باللغة الفرنسية:

Le grand Robert ,Dictionnaire de la langue français,
rédaction ,paris,1989.

Cambrige Advencend learners:dictionary, canbrdge university press,2 nd pub,2004

الفـــهرس

بسملة	
تشكرات	
إهداء	
مقدمة	
فصل تمهيدي (مدخل) : الحجاج في الفكر العربي و الفكر الغربي.	
ـالحجاج في البلاغة الغربية القديمة .	
الحجاج عند السوفسطائيون .	
الحجاج عند أفلاطون .	
الحجاج عند أرسطو .	
ـ الحجاج في البلاغة الغربية الحديثة ...	
الحجاج عند بيرلمان .	
الحجاج عند ديكرو .	
الفصل الأوّل : ماهية الحجاج .	
مفهوم الحجاج .	
مجالات الحجاج.	
الاستعارة الحجاجية .	
التداوليات المدمجة .	
النظرية الكلاسيكية للحجاج البلاغي (أرسطو) .	
نظرية الحجاج اللغوي	
نظرية الحجاج الخطابي .	
نظرية الحجاج التداولي .	
منهجية تحليل النص الحجاجي .	
أنواع الحجاج .	

مفهوم الرابط الحجاجي	
ـمفهوم الرابط والعامل الحجاجي	
. وظيفة الروابط والعوامل الحجاجية	
المسار التاريخي	
الفصل الثاني : لمحة عن خلفية الجاحظ .	
عصر الجاحظ	
حياة الجاحظ	
اسمه ونسبه	
لقبه وكنيته	
مولده	
نشأته	
وفاته	
مذهبه الإعتقادي	
مؤلفات الجاحظ	
النزعة الكلامية	
الفصل الثالث : بلاغة الحجاج عند الجاحظ رؤية في الخلفيات الحجاجية في بعض رسائل الجاحظ (نموذجا) .	
. مفهوم الحجاج عند الجاحظ .	
. إضاءة حول الحجاج عند الجاحظ .	
. وظيفة الإقناع في بلاغة الجاحظ .	
. تقنيات الحجاج ووظائفه .	
. مفهوم الصورة الحجاجية .	
أشكال الصورة الحجاجية .	

دائرة الحجاج .	
. أطراف الحجاج .	
. البعد الإجرائي .	
. مصداقية النتائج .	
. خاتمة .	
. قائمة المصادر و المراجع .	